معاً على الطريق

أنا والآخر

بقلم القس صموئيل زكي ابراهيم



اهداءات ٢٠٠١
دار الثقافة
الهيئة الإنجيلية والقبطية


معاً على الطريق
أنا والآخر
القس
صموئيل رزقي إبراهيم
دار الثقافة

طبعة أولى

معاً على الطريق أنا والآخر

صدر عن دار الثقافة - ص.ب ١٢٩٨- القاهرة

جميع حقوق الطبع محفوظة للدار (فلا يجوز أن يستخدم اقتباس أو إعادة نشر أو طبع بالرونيو للكتاب أو أي جزء منه بدون إذن الناشر، وللناشر وحده حق إعادة الطبع)

١٠/ ٨٤٧ ط١/١-١/ ٢٠٠٠

رقم الإيداع بدار الكتاب: ١٥٢٦٢/ ٢٠٠٠

I.S.B.N. 977 - 213 - 548 - 5

جمع وطبع بمطبعة سيوبرس

تصميم الغلاف: **إخلاص مطر**

مقدمة الدار

يتطرق هذا الكتاب إلى موضوع جديد هو مثار المناقشة الآن فى أجهزة الإعلام المختلفة ، عن كيفية تعايش فئات البشر المختلفة إن كانت عرقية أو دينية أو طبقية مع بعضها البعض ، فالتعايش مع الآخر يتطلب المحبة والتضحية بالنفس ، والإنسان المتدين مهما كان مستوى تدينه محتاج للآخر فى سد احتياجاته المادية والمعنوية ، كما يحتاج الآخر إليه .

وينبر الكاتب على فن من أجمل فنون البشر فى علاقاتهم ، وهو فن الحوار وكيف يكون مع الطرف الآخر بدون تعصب أو عداء .

كما تطرق الكاتب لعلاقة الزوجين بعضهما مع البعض فى محبة ومساواة واحترام متبادل .

ورأت دار الثقافة أن تنشر هذا الكتاب ، حيث أنه يساير متطلبات العصر ومتطلبات الدين فى الوقت نفسه بفكر جديد متطور فى كيفية العيش مع الآخرين فى سلام وتفاهم .

دار الثقافة

المحتويات

صفحة

مقدمة

يعطى الكتاب المقدس اهتماماً خاصاً بالإنسان الآخر ، فالإنسان ليس وحده فى هذا العالم بل معه آخرون ، ومع اهتمام الكتاب المقدس بالفرد لكنه اهتم أيضاً بالجماعة التى يتعامل ويعيش معها الفرد كما اهتم أيضاً بالسلام والمصالحة والحب بين الناس .

إن الحقيقة الثابتة أن الآخر هو جزء من حياتى ، جزء من عالمى الخاص . فلا أستطيع ان أعيش بدون الآخر ، ولا أستطيع حتى أن أمارس العبادة بدون الآخر ، بل لا أستطيع الوصول إلى الله بدون الآخر .

والواقع الآن يقول إن العالم يدخل عصراً جديداً لم تعد الحدود فيه مقبولة ولا معقولة ، وبالتالى فإن الحدود بينى وبين الآخر يجب أن يعاد النظر فيها .

قد يكون الآخر فرداً من الأسرة التى أنتمى إليها مثل الأب ، الأم ، الزوج أو الزوجة .. وقد يكون الآخر من طائفة أخرى أو من دين آخر ، وقد يكون من ثقافة أخرى ووطن آخر ، وقد يكون الآخر محتاج لى وأنا محتاج إليه . فماذا أفعل مع هذا الاخر ؟

كيف أتعامل معه ؟ هل أستغله أم أحتقره أم أرفضه أم أتعالى عليه ؟ أم أن هناك طريقاً آخر للتعامل معه ؟

ومحاولتى فى هذا الكتاب أن أجد الطريق الآخر للتعامل معاً .

فدعونا نطرق باب الآخر ، ونسير الطريق معاً ، ونكتشف من نحن فى علاقتنا بالآخرين .

الفصل الأول

أنا والآخر وصورة الله

يهتم بعض الناس بالظواهر السلوكية للإنسان ، ومتى سلك الإنسان سلوكاً قويماً أثبت لنفسه وللآخرين أنه على حق . ولكن المسيحية تهتم ببواطن الأمور وتهتم أن يصل الإنسان إلى العمق الروحى بسبب طبيعته الجديدة والتى ينبع منها الجديد وليست بسبب مراقبة الناس له . فالإنسان الذى يسلك سلوكاً قويما بناء على نظرة الآخرين له لا يستطيع أن يصل إلى العمق الروحى ، لأن الحافز الداخلى غير موجود ، كما أنه سيفعل عكس ذلك تماماً عندما يختفى عن الأنظار، وذلك عكس الإنسان الذى يسلك سلوكاً قويماً بسبب النبع الداخلى وتأثير الروح القدس الذى يثبِّته وينميه .

أولاً : القدرات الروحية وتجديد الفكر :

« فخلق الله الإنسان على صورته . على صورة الله خلقه . ذكراً وأنثى خلقهم » (تك ١ : ٢٧) . خلق الله الإنسان على صورته ، وصورة الله فى الإنسان تعنى القدرات الروحية فيه . ويقول د. ق فايز فارس : « .. إن هذه القدرات الروحية ليست مجرد القدرة على التفكير وتجريد المعانى ، بل قدرة الإنسان كشخص روحى على أن يستجيب لصوت الله بالطاعة له » . يستجيب الإنسان لله بالطاعة فى (المحبة) ، وهذا معناه أننا نبادل الله الحب الذى بدأه معنا وأظهرة لنا . فطاعة الله عن حب هى القدرة الروحية فى الحياة الجديدة . وسؤالنا الآن .. أين توجد هذه القدرة الروحية ؟ أين تسكن ؟ أتسكن فى الجسد أم فى الروح ؟ .

يقول بولس الرسول (غل ٥ : ١٧) : « لأن الجسد يشتهى ضد الروح والروح ضد الجسد . وهذان يقاوم أحدهما الآخر حتى تفعلون ما لا تريدون » .

ويجب أن نفرق هنا بين رأى المسيحية فى تكوين الإنسان والفكر اليونانى القديم فى هذا الأمر ... نادى الفكر اليونانى القديم بفكر الازدواجية بين الجسد والروح . قال سقراط : « إن الطبيعة الإنسانية عقل وهوى ، ويجب تغليب العقل على الشهوة ، ومن يخالف نداء العقل يعاقب فى الحياة الأخرى » . فالفكر اليونانى يتميز بالازدواجية – الجسد والروح – والنتيجة صراع قائم بين الاثنين . ولم يقصد الرسول بولس أن يتكلم عن الازدواجية ، لأن المسيحية لا تؤمن بهذه الازدواجية ، ففى المسيحية لا نجد فصلاً فى قدرات الإنسان وتقسيمها إلى عقل وشهوة . فلقد خدم السيد المسيح الإنسان كوحدة واحدة ، فلم يفرق بين ما هو روحى وما هو جسدى . فالذين طلبوا من السيد المسيح الشفاء الجسدى قدمه لهم ولم يقل لهم هذا عمل جسدى لا داعى له فاهتموا بالصلاة فقط ، لم يقل المسيح هذا ، فجسد الإنسان جزء من حياته الروحية ، ولا يمكن أن تكتمل حياة أى فرد بدون جسد، فعن طريق الجسد نعبد الله ونخدم الآخر ونتحرك لفعل الخير، فبدون الجسد لا توجد حياة روحية على الإطلاق . ولذلك عندما نرجع إلى فكرة الرسول بولس نعرف ماذا قصد بكلمة الجسد والروح ، وما هو الصراع بينهما ؟ ويجيب على هذا التساؤل الدكتور القس فايز فارس فى علم الأخلاق جزء (١) ص ١٣٢: « إن ما يقصده بولس بكلمة – الجسد – هو الذات الإنسانية كلها التى أفسدها حب النفس . وما يقصده بولس بكلمة – الروح – هو الذات الإنسانية المتصلة بالله . إذا لم تكن الروح هى عقل الإنسان فقط ، وإذا كانت الروح ليست معارضة للجسد – المادى – أو منفصلة عنه ، فما هى الروح إذاً ؟ إنها طاقة الإنسان القادرة على أن يسمو به فوق المحسوس باتصالها بالله وبالتكريس للحقيقة والخير » . إذاً فإن هذا الصراع هو صراع داخل الإنسان نفسه ، ويستطيع

الإنسان أن يسمو فوق هذا الصراع باتصاله بالله وأن يكون له دور فعال . إذاً الجسد المادى لا دخل له فى هذا الصراع ، ولهذا يستحق منا أن نهتم به وأن نكرمه ولا نحتقره ونحتقر رغباته . فالصراع هو صراع فكر ، وصراع بين الطبيعة التى قبلت المسيح والطبيعة التى ترفضه ، ولذلك علينا أن نوجه الاهتمام إلى القدرات الروحية الموجودة وهى ما أطلق عليه الرسول بولس (الروح) ، وهو صورة الله فى الإنسان .

والقدرات الروحية فى الإنسان تحتاج للنمو . فالإنسان الروحى ينبغى أن يبتعد عن الجمود ، لأنه ليس هو ذلك الإنسان الذى يقاوم كل جديد ويتمسك بالقديم مهما كان ، فالحياة الروحية ليست جامدة بل مبدعة .

ولا تركز الحياة الروحية فقط على بداية الإيمان ، بل تركز أيضاً على الحاضر وكيف نعيشه ، وعلى المستقبل وكيف يكون لنا رؤية واضحة له . فالحياة الروحية هى من أنت الآن ؟ ومن ستكون ؟ وهنا تصبح الحياة خلاّقة عندما ترتبط الحياة الروحية بالأمل المدروس للمستقبل . فالبعض يركز الحياة الروحية على يوم جميل كان فى الماضى يوم قبل الإيمان ، وكأنه لم يمر عليه يوم تطور فيه إلا ذلك اليوم ، وهذا الفكر يصور الحياة الروحية على أنها تحفة جميلة قد أُقتنيت ولا حاجة إلى شئ بعد ذلك . فحتى لو اشتمل الماضى على خبرات ، فالماضى فى النهاية هو الذى نتعلم منه ، ولكن الذى يغذى ويطور الكيان هو الحاضر والمستقبل .

يوضح السيد المسيح الفرق بين من يركز على الحاضر فقط وبين من يتطلع للمستقبل فى ختام الموعظة على الجبل (مت ٧ : ٢٤ - ٢٩) من خلال مقارنة بين رجلين ونظرتهم أحدهما جامد والآخر متطور ودعاهما بالرجل العاقل والرجل الجاهل .

الرجل الأول	الرجل الثانى
١ - رجل عاقل.	رجل جاهل.
٢ - بنى بيته على الصخر.	بنى بيته على الرمل .
٣ - أراد الشئ الآمن حتى ولو كان متعباً ومكلفاً.لذلك حفر حتى وصل إلى الصخر.	اراد الشئ الغير مكلف والذى لا يحتاج إلى مجهود كبير، فبنى البيت على سطح الأرض .
٤ - البناء على الصخر لا يخشى أى ارتفاع .	البناء على الرمل كلما ارتفع تعرض للسقوط .
٥ - الصخر يقاوم .	الرمل ينجرف .
٦ - الصخر كتلة واحدة فيها آمان .	الرمل حبيبات صغيرة ليس بها أمان.
٧ - خطط الرجل العاقل للمستقبل فاستعد للكوارث وبنى البيت على الصخر .	الرجل الجاهل فكر فى الحاضر فقط ، وحيث إن الحاضر ليس به كوارث فبنى بناء بسيطاً .

فالفرق كبير بين من يعمل بالكلمة ومن لا يعمل بها ، فمن يعمل بالكلمة يجهز نفسه تجهيزاً جيداً حيث يتعلم من الماضى ، ويعيش الحاضر ، ويستعد للمستقبل . إذاً الحياة الروحية ليست ماضٍ فقط بل حاضر يعاش ومستقبل يحتاج للتخطيط والاستعداد .

الاحتياج فى الحاضر ليس فقط لحفظ التعاليم الدينية وترديد الآيات ولكن الحاجة إلى أن نعيش الحاضر ويتم التفاعل فيه مع احتياجات العصر .

وتطبيق الإنجيل فى الحياة يحتاج إلى إبداع وإلى تجديد ، فتجديد الفكر ليس مسألة رياضية نتدرب على حلها وكفى ، بل هو تجديد باستمرار ، ولا نمو فى الحياة الروحية بدون تجديد للذهن . فعندما نغلق الذهن على خبرات الطفولة فى الماضى أو من بعض المعلمين فهذا يعنى توقف النمو فى الحياة الروحية، لكن

اضطراد الحياة وتغير الظروف ينشآن صراعاً داخلياً بين القديم والجديد ، بين المعتاد فعله ، وبين ما ينبغى أن يكون .

ثانياً : الإنسان الروحى يحتاج لمساندة الآخرين :

يحتاج الإنسان إلى التعضيد والتشجيع مهما علت قدراته الروحية ، فتميز الفرد فى وسط الجماعة شئ مهم ، فكل فرد له صفاته وخبراته المتميزة عن الآخرين ، ويحتاج الإنسان أن يدعم الآخرين بهذا التميز ، وأن يفتح قلبه لطلب مساعدة الجماعة له . وعندما يطلب المساعدة فهو يؤكد شيئاً مهماً ألا وهو محدوديته كإنسان واحتياجه لدعم الجماعة .

فكيف يقبل الفرد مساعدة الآخرين له بطريقة تسهم فى بنائه ؟. ويمكن أن يجدها عندما يعترف بعدم مقدرته الكاملة ، يمكن أن يجدها عندما يكون لديه استعداد أن يقبل المساعدة . ويمكن أن يجدها عندما يعترف بإمكانية الآخر وقدرته على العطاء ، فإذا تصور أن الآخرين ضعفاء وأنه هو وحده الذى يتميز بالقوة فبالتالى يتصور أنه لن يحتاج إليهم . ويؤكد السيد المسيح أن العطاء من الله والآخرين مرتبط بالسؤال : « اسألوا تعطوا . اطلبوا تجدوا. اقرعوا يفتح لكم. لأن كل من يسأل يأخذ . ومن يطلب يجد . ومن يقرع يفتح له » (مت ٧:٧) .

لقد احتاج إبرام إلى بركة ملكى صادق (تك ١٤ : ١٩) . واحتاج موسى لتدعيم هارون وحور فى المعركة مع عماليق عندما ثقلت يداه (خر ١٧ : ١٢) .

ونلاحظ هنا أنه لو لم يعبر موسى عن تعبه واحتياجه لما وجد المساعدة من أحد فالتعبير عن الاحتياج شئ ضرورى لتسديده . وقد يُنسب التقصير إلى الناس وتقاعسهم عن التشجيع فى وقت التجارب والمحن ، والحقيقة أن العيب والتقصير ليس فى الآخرين بل فيمن لم يعبر عن احتياجه .

فى قصة شفاء المفلوج فى (لو ٥ : ١٧ - ٢٦) يتضح الاحتياج المتبادل بين الناس فى هذه القصة حيث تحتشد الجموع أمام المنزل ، فنرى هذا المشهد : (المفلوج - الأربعة رجال - يسوع - صاحب البيت) . فالمريض احتاج للأربعة رجال ، وبدونهم ما كان حصل على الشفاء ، والأربعة رجال احتاجوا للمفلوج ، ليؤكدوا إيمانهم بالرب يسوع المسيح : « فلما رأى إيمانهم قال له أيها الإنسان مغفورة لك خطاياك » (لو ٥ : ٢٠) . وبدون يسوع ما كان المفلوج قد حصل على الشفاء وما كان الأربعة قد تشجعوا بأن لديهم إيماناً . وبدون مرونة صاحب البيت لما كان الأربعة استطاعوا أن ينقبوا السقف ليصل المريض أمام يسوع .

حتى الزحام كان له دور، فلولا الزحام ما كان الأربعة أظهروا شجاعتهم وقوة إيمانهم بأن يثقبوا السقف ليظهروا إيمانهم أمام يسوع ، وأمام الناس .

ثالثاً : الإنسان الروحى مسئول عن الآخرين :

فالإنسان الروحى ليس بمعزل عن المجتمع فهو إنسان متفاعل مع الناس ، والعلاقة متبادلة ، فهو مسئول من الآخرين ومسئول عن الآخرين . ومسئولية الإنسان الروحى لا تعنى فقط مسئوليته أمام الله من خلال التمجيد والصلاة والعبادة بل إنه مسئول عن مدّ يد العون للآخر ، وهذا هو فعل القدرات الروحية الجديدة فى الإنسان ، فالقدرات الروحية تبحث عن الآخر وعن احتياجاته . فالخدمة هى مسئولية الإنسان الروحى تجاه الآخرين بل لكل المجتمع وليس فقط للمؤمنين .

والمسئولية تجاه الآخر لا تكون بإظهار نقاط الضعف ومحاولة تصيد الأخطاء ، بل المسئولية هى محاولة إظهار نقاط القوة فى الآخر والتركيز عليها وهذا يؤثر فى بناء شخصية الآخر .

الفصل الثانى

الفرد والجماعة معا

انتـشـرت فى الآونة الآخـيـرة فكرة الفـردية individualism ، « يطلق هذا الاصطلاح على الاتجـاه الذى يرى أن الفرد هو أسـاس القـيم ، ويرجع تفسـيـر الظواهر الاجتماعية والتاريخية إلى إرادة الفرد » [١] . وفكرة الفردية هى عبارة عن تفضيل ما يحتاجه الفرد على ما تحتاجه الجماعة .

ودخل هذا الفكر إلى الكنيسـة فـأصبح الفرد ينظر إلى ما يريد وليس إلى ما تريده الجـماعة . ويمكن القول إن كـلاً من التركـيز على هوية الفرد على حساب الجماعة وأيضـاً التـركيز على هوية الجمـاعة على حساب الفرد هما موقفان خاطئان وأحياناً يظهر التأثير الفردى فى الترانيم بصبغة الفرد ، والتركيز أيضاً على الحياة الشخصية للأفراد أكثر من دور الجماعة فى نمو هؤلاء الأفراد .

أولا : الهوية الجماعية والفرد :

« ويمكن تعريف الهوية بأنها الشفرة التى يمكن للفرد عن طريقها أن يعرف نفسه فى علاقته بالجماعة التى ينتمى إليها، والتى عن طريقها يتصرف الآخرون عليه باعتباره منتمياً إلى تلك الجماعة » [٢] .

إن الفرد والجماعة لهما أهمية كبرى فى الحياة . وتؤكد المسيحية تميز الفرد

---

١ - قاموس علم الاجتماع

٢ - د. رشاد عبد الله الشافى - اشتمالية الهوية فى إسرائيل ، عالم المعرفة ص ٧

مع الجماعة التي ينتمي إليها . ويقول مانسيل بانسون في كتابه Pastor and pasich - Systems approach : « تشبه حياتنا بالفعل عملة ذات وجهين ، الأول هويتنا الفردية والثاني هويتنا الجماعية ، وكل واحدة مشتركة مع الأخرى ، كل وجه نظام حي ، ومعاً يكونان نظاماً للحياة [1] ، فللجماعة دور كبير في حياتنا ، حيث تؤثر في الفرد ، وتعطيه أن يعيش بأهداف مجتمعه ، فيكون هناك أهداف مشتركة بين أعضاء الجماعة . فالإنسان يكتشف من هو من خلال المحيطين به منذ الطفولة . يكتشف الطفل ذاته في الأسرة كجماعة أولية يتعامل معها ، وللأسرة دور كبير في إحساس الفرد بالكينونة والوجود ، فهوية الجماعة مهمة جداً لتنشئة الفرد في المجتمع .

يرد في سفر يشوع ٧ : ٢٤ - ٢٥ قصة عاخان ... إن الذي سرق هو فرد واحد ولكن العقاب وقع على الجماعة كلها لأن الخاطئ لم يكن فرداً بل جماعة ، فكل عضو مسئول عن ما يحدث من الآخر . وهذا ما يشبه فكرة الأسرة الممتدة التي تتكون من الآباء وأبناء الأبناء ، ويكون المسئول عن القرارات شخص واحد فقط ، وتتبع كل الجماعة رأيه ، فهوية الجماعة واضحة في قبول الشئ أو رفضه . غير أن الأسرة الممتدة قد تؤثر أو تلغي الهوية الفردية ، وهذا شئ غير مرغوب فيه ، فالمسيحية تؤكد على تميز الفرد في وسط الجماعة ، فلا يجب أبداً إلغاء الفرد في وسط الجماعة . وفي ذات الوقت فإن الإفراط في الفردية تهدم الهوية الجماعية ، وقد علق إميل دوركايم عالم الاجتماع الفرنسي على من يتمسكون بمذهب الفردية فقال : « هم أناس بلا أسماء » . وقال عالم الاجتماع الأمريكي ديفيد روزمان عن الفردية التي لا تتبع الجماعة أنها (الزحام الذي

---

1 - Pastor and parish P.1

يشعر بالوحدة) . وأشار إريك إريكسون بأن الفردية تمثل : « أزمة الهوية»[1] فالوجود الإنسانى أصله الهوية الفردية والهوية الجماعية معاً .

ونحن مدعوون فى الحياة لنخدم الآخرين ، وهذا ما قاله السيد المسيح : « لم آت لأُخْدَم بل لأخدِم ... » (متى ٢٠ : ٢٨) .

فالكنيسة لابد أن تعزز الهوية الجماعية ليس على أساس القرابة أو النسب فقط بل على أساس وحدة الإيمان ، وذلك لا يجب أن يتم على حساب إلغاء وجود الفرد. وهكذا ترفع المسيحية من قيمة الفرد ، وترفض أن يبتلعه أى مجتمع ما . وفى نفس الوقت تصر المسيحية على أن يكون الإنسان مسئولاً عن غيره من الناس ، وأن يجاهد نحو تكوين مجتمع عالمى مؤسس على المحبة للجميع ، وأن يحدّ من ولائه للمجتمعات المحدودة المغلقة ، لكى يتفتح قلبه للإنسانية كلها ، فتظهر فى حياته المحبة المسيحية بمعناها الشامل فى محبة الله كما تظهر فى محبة الغير [2] . فالتركيز فى الحياة الروحية على الجماعة يقوى دور الفرد ومكانته ، فأنا بمفردى لا أستطيع أن أنمو ، ولكن أستطيع أن أنمو فى وجود الجماعة حولى . والجماعة ليست مجموعة من الناس بل جماعة لها أهداف وحياة مشتركة .

فتعريف الجماعة : « هى جماعة الأفراد الذين يحدث بينهم تفاعل متبادل ، ويمكن أن تؤثر فى الفرد الذى ينضم إليها. ولابد أن يتوافر فيها شرطان: « وجود مجال سيكولوجى بالتآلف بين أفراد الجماعة ، والتعامل الديناميكى بينهم ..» [3] .

والكنيسة كجماعة لابد أن يكون لها المكان الأسمى فى فكر أعضائها ، كما،

---

١ – المرجع السابق ص ٢

٢ – د. ق. فايز فارس ،علم الأخلاق المسيحية ، جزء أول ص ١٣٧ .

٣ – د. ق. صموئيل حبيب ، فن قيادة الجماعات ، ص ١٠ .

أنه لابد من مقاومة الأفكار الانفصالية عن الكنيسة كجماعة ، فالبعض يحاول الانفصال عن الكنيسة بدعوى طلب الحرية فى العبادة أو الحرية فى الترنيم ... الخ . وهذا فى الواقع ليس من المسيحية فى شئ ، فالمسيحية تركز على تميز الفرد مع الجماعة وليس تميزه منفصلاً عنها .

وهذا واضح فى حياة يسوع ، فلم يركِّز يسوع أبداً على نفسه بعيداً عن الناس ، بل عندما بدأ يفكر فى الخدمة اختار جماعة أسماها تلاميذه (لو ٦:١٣)، ولم يفصل يسوع التلاميذ عن خدمة المجتمع بل أرسلهم ليشفوا مرضى (مت ١٠ : ١) . فالجماعة لها دورها الكبير فى حياة الأفراد .

ثانياً : العمل معاً :

لكى يمكن الوصول إلى تكامل الهوية المزدوجة (الفردية والجماعية) يجب التفكير فى كيفية تعامل الجماعة معاً . فالعمل معاً يثرى الأفراد ، فكل فرد يشجع الآخر ويعضده . كما أن العمل معاً يسدد احتياجات الأفراد . وتستطيع الجماعة أن توفر الجو المناسب لتكيف الأفراد داخل الجماعة ، وهذا يتطلب من الجماعة أن تتبع أسلوباً حياً يتفاعل مع المتغيرات التى توجد داخل الجماعة نفسها وداخل المجتمع ، وأهم هذه المتغيرات هى القدرة على التغيير والتطوير ، فالتطوير المستمر يحافظ على وجود الجماعة وتماسكها لتعمل معاً . فالتغيير المستمر يحافظ على تطور الجماعة ووجودها فى كل عصر .

فالأسرة كجماعة مثلاً يختلف دورها من مرحلة إلى أخرى بداية من تربية الأطفال ، التعامل مع الأبناء فى سن المراهقة والتعامل معهم فى سن النضوج، وعندما يتركون البيت بسبب للزواج والعمل . فكل مرحلة لها دور مختلف من جانب الأسرة . وهذا ما تحتاجه الكنيسة . إن تطور الكنيسة يأتى من برامجها ومن طرق استجابتها للاحتياجات المختلفة ، فعندما تطور الكنيسة برامجها فإنها

تطورها لصالح الجماعة لكى تحافظ على عدم تفككها . فالجماعة تتفكك عندما يبحث كل فرد عن هدف خاص به تاركاً أهداف الجماعة فى العمل معاً . والعمل معاً هو فكرة العمل الجماعى ، والعمل الجماعى يخلق ولاء الأفراد للجماعة . فالفرد يتطلع إلى جماعة تصلى من أجله ويصلى من أجلها ، جماعة يعمل معها وتعمل معه ، جماعة تساعده أن يبلور أهدافه فى الحياة ليعيش لها .

فالعمل الفردى يبنى أفراداً أما العمل الجماعى فيبنى الجماعة كلها . إن الاحتياج اليوم هو التركيز على فكرة العمل بروح الفريق الواحد . فالخدمة ليس هدفها المصلحة الشخصية ، بل خدمة الآخرين (الهوية الجماعية) .

قال الرسول بولس : « لا تنظروا كل واحد إلى ما هو لنفسه بل كل واحد إلى ما هو لآخرين أيضاً » (فى ٢ : ٤) .

ويقول ق . جون ستوت عن العمل الجماعى : « فالفرق القيادية أكثر سلامة من القيادة الفردية لعدة أسباب » [١] .

١ - لأن أعضاء الفريق يكمل أحدهم الآخر ويشدد كل منهم قوة الآخر ويعوض كل منهم ضعف الآخر .

٢ - يشجع كل منهم الآخر ويتعرف على مواهبه ويحفزه لتطويرها واستخدامها .. فالخدمة فى المسيحية ليست لتأكيد الذات بل تشجيع الآخرين على تأكيد ذواتهم .

٣ - إن كلاً من أعضاء الفريق مسئولاً تجاه الآخر . فالاشتراك فى العمل يعنى الاشتراك فى المسئولية ، فنحن نستمع بعضنا إلى بعض ونتعلم بعضنا من بعض ... فالطريق الفردى ينطبق عليه القول : « طريق الجاهل مستقيم فى عينيه »

---

١ - جون ستوت ، المسيحية والقضايا المعاصرة ، ص ٣٤٢ .

والعمل الجماعي ينطبق عليه القول : « أما سامع المشورة فهو حكيم » (أم ١٢ : ١٥) .

إن العمل الجماعي يؤكد أهمية خدمة الآخرين وليس التسلط على الآخرين . فالخادم في العمل الجماعي ليس هو القائد الذي يريد أن يحتل الصفوف الأمامية في كل شئ . وليس هو الرئيس الذي يريد أن يحكم المجموعة بأوامر وقرارات . ولكن هو الخادم الذي يدفع العمل ويشجع الفريق للمضي قدماً في الخدمة : « تأكيد يسوع لم يكن على سلطة الحاكم القائد بل على تواضع الخادم القائد . إن السلطة التي يمارس القائد المسيحي دور القيادة فيها ليست النفوذ بل المحبة ، وليست القوة بل القدوة ، وليست الإكراه بل الاقتناع العقلي . القادة يملكون قوة ، ولكن هذه القوة تكون مأمونة فقط بين أيدي الذين يتواضعون ليخدموا [1] » .

والسؤال الآن الذي يفرض نفسه هو كيف تعمل الجماعة كفريق واحد ؟

والإجابة على هذا السؤال ليست سهلة ، فالجماعة تفكر معاً كيف تعمل كفريق واحد . فالمسئولية مسئولية جماعية ، لذلك فإن وضع الخطط ليست حكراً لفرد بذاته . فالعمل كفريق يعني أن يدرِّب القوي الضعيف ، والضعيف يتعلم من القوي ، وهكذا تسير القافلة بالاثنين معاً . هناك قضية طُرحت للمناقشة في المجمع الأول (انظر أع ١٥) . « لأنه قد رأى الروح القدس ونحن أن لا نضع عليكم ثقلاً ...» (أع ١٥ : ٢٨) فهنا توجد استجابة جماعية . فالعمل الروحي هو إرشاد الروح القدس للجماعة وليست لفرد واحد يريد فرض خططه الشخصية على الجماعة بدعوى أن الروح القدس قد أرشده هو فقط .

فالعمل الفردي (الدكتاتوري) لا يصلح لكنائسنا اليوم لأن الفرد لا يستطيع

١- المرجع السابق ص ٣٤١

أن يعبر عن فكر الجماعة واحتياجاتها عن طريق اجتهاداته الشخصية ، ولكن الجماعة تستطيع أن تعبر عن احتياجاتها وعن كيفية تسديد هذه الاحتياجات .

هناك قضية مطروحة في أع ٦ ويتضح منها دور الجماعة في تحديد المشكلة والحل :

عبَّرت جماعة اليونانيين (اليهود الناطقين باليونانية) أن أراملهم كن يغفل عنهن في الخدمة اليومية . فتشاورت الجماعة في هذه المشكلة « فدعا الاثنا عشر جمهور التلاميذ وقالوا لا يُرضي أن نترك نحن كلمة الله ونخدم موائد . فانتخبوا أيها الإخوة سبعة رجال ..» (أع ٦ : ٢ و ٣) . وهنا يتضح اجتماع الجماعة لتفكر في الحل ، والوصول إلى قرار جماعي يرضى الجماعة بكاملها . وتم انتخاب سبعة رجال من اليونانيين . وهذا واضح من أسمائهم اليونانية .

وكان هذا اختيار جماعي حكيم ، فالذين شكوا تم اختيار سبعة منهم ليقوموا بالخدمة لأراملهن ، وبهذا ظهرت فكرة تميز الأفراد وسط الجماعة مثل فيلبس واستفانوس ، ولم تُهمل أيضاً الشكوى ، وظهرت الهوية الجماعية . وقوة الجماعة على التنظيم وتحديد الأهداف. فأفراد الرسل يعملون لخدمة الكلمة ، والمنتخبون يعملون لخدمة الموائد، فهم يعملون معاً، كل فرد يؤدي دوره لأجل هدف الجماعة العام ، تجمعهم قيم مشتركة لتحقيق ما فكرت فيه الجماعة .

ثالثا : الحرية الفردية والهوية الجماعية :

الفكرتان السابقتان توضحان تميز الأفراد وتأكيد دور الجماعة في بناء هؤلاء الأفراد.

وعند التفكير في الحرية الفردية والهوية الجماعية يجب أن يتم التفكير فيهما معاً ، فهل فعلاً توجد حرية فردية مطلقة أم لا ؟

إن المناقشة هنا لا تتناول حرية السلوك ، أو حرية الضمير ، أو حرية الإبداع الشخصي ، بل حدود الهوية الجماعية .

والحرية هي القدرة على الاختيار والعمل ، أو عدم العمل والتنفيذ ، « ويمكننا القول بأن الحرية الحقيقية إنما تمثل نضج الشخصية ، وتكامل القدرات الذاتية ، وتوافق الإنسان مع بيئته الداخلية وبيئته الخارجية على السواء [1] .

وحيث يكون للبيئة الخارجية مكان ليتوافق معها الإنسان ، أي الهوية الجماعية المحيطة بالإنسان . فإن لم توجد هذه الهوية والإطار الجماعي للحرية ، فإن الحرية تكون غير مسئولة وغير منضبطة ، وحيث توجد حرية غير مسئولة يوجد الصراع بين رغبات الفرد وبين هوية الجماعة . وفي مجال العبادة يقتبس البعض الآية : « وأما الرب فهو الروح وحيث روح الرب هناك حرية » (٢ كو٣ : ١٧) ، ليؤكدوا عدم التزامهم بالهوية الجماعية في العبادة . فكل فرد يفعل ما يريده ، واحد يصلي والآخر يبكي والثالث يرنم .. ولكن إذ أن مفهوم الآية له معنى آخر ، يجب أولاً قراءة النص كاملاً (٢ كو ٣ : ١٢ - ١٨) .

ويذكر الكتاب البرقع الذي كان يضعه موسى ليخفف خوف الشعب من وجهه الذي كان يلمع (انظر خر ٣٤ و٣٠ و ٣٥) . ثم (ع ١٤ و ١٥) البرقع الذي على قلب الناس أي غلاظة القلب في فهم كلمة الله (ع ١٦) . كان موسى يرفع البرقع عندما يرجع إلى الرب . وبالتالي فالتفسير المنطقي لعددي (١٧ و ١٨) :

عندما يأتي الشخص للرب لا يوجد هناك برقع ، فيأتي بحرية ، بوجه مكشوف يتقدم للعبادة . فحيث يوجد روح الله في حياة الإنسان ، فله حرية حقيقية ، أي حرية من الخطية « فاثبتوا إذاً في الحرية التي قد حررنا بها المسيح ولا ترتبكوا

---

١ - د. زكريا إبراهيم ، **مشكلة الحرية** ، ص ٦٨ .

بنير عبودية » (غل ٥ : ١) ، فالآية لم يقصد بها عدم الالتزام بل قمة الالتزام .

وللإجابة على السؤال المطروح قبلاً : هل توجد حرية مطلقة للفرد أم لا ؟ .

إن حرية الفرد محدودة بالهوية الجماعية (أى عقيدة وتاريخ وتقاليد وقوانين الجماعة) . وهنا تظهر أمانة الفرد مع نفسه ومع الجماعة التى يعيش معها . فأنا حر فى إطار مفهوم الجماعة التى أنتمى إليها. فالحرية مسئولة أمام الآخرين، وليس معنى ذلك الجمود بل الحرية فى إطار الهوية الجماعية ، وقد تتمثل الهوية الجماعية فى إطار الأسرة ، أو الطائفة التى أنتمى لها .... ولذلك علىَّ أن أفكر فى أهداف تحرك الجماعة ، حتى لا تكون الأهداف شخصية ، فالهدف الجماعى يخلق الولاء والانتماء للهوية الجماعية التى من خلالها ينمو الأفراد ، ويشعرون أن لهم مكانة ، ولهم امتياز داخل الجماعة . وعلى الكنيسة أن تؤكد دورها هنا كهوية جماعية تضم الأفراد إليها وتساعدهم على رؤية لحياتهم ومجتمعهم وكيف يكون لهم الولاء للهوية الجماعية فى الكنيسة والوطن .

وعلى الكنيسة أن تؤكد هويتها الجماعية بالنسبة للأفراد عن طريق عملها وتواجدها doing and being . فكثيراً ما تهتم الكنائس المحلية بالأنشطة والأعمال doing أكثر من تواجدها being داخل المجتمع ، والمشاركة الفعالة فى أنشطة المجتمع ومشاركة الأفراد مشاكلهم وآمالهم المستقبلية – لذلك تحتاج الكنيسة إلى هذا التوازن فى عملها وتواجدها . وتحتاج إلى التكامل بين هوية الفرد وتميزه وهوية الجماعة ودورها فى بناء الشخصية . وبدون هذا التكامل لا يوجد هوية فعالة تساعد على الانتماء لأن الهوية تحدد الشعور الحقيقى لوجود الإنسان وعطائه وانتمائه للجماعة .

الفصل الثالث

الآخر يشكلني
وأنا أشكل الآخر

الشخصية السوية :

دراسة الشخصية تعنى أن هناك دراسة تتناول كيان الإنسان ، ما هو عليه الآن وما سيكون عليه فى المستقبل ، أى واقع الشخصية الآن وما يمثل طموحها فى المستقبل . من المهم التعرف على ماهية الشخصية قبل دراسة مكونات الشخصية .

تعريف الشخصية : يُعرف ويستر الشخصية بأنها النظام الذى يميز صفات الشخص وسماته ومواقفه وعاداته .

ويراعى علماء النفس عاملين فى تحديد الشخصية هما :

١ - السمات الغريزية   ٢ - الدوافع والمواقف والعادات[١] .

تعريف عالم النفس سابير للشخصية : هى المجموع الكلى لاتجاهات السلوك التى تعطى معنى للفرد فى المجتمع ، وتميزه عن الأعضاء الآخرين فيه حيث يحمل كل منهم أنماطاً ثقافية لا حصر لها منظمة بطريقة فريدة [٢] .

ولهذا فالشخصية هى الصفات المميزة للشخص . Personality

وسلوك وأخلاق ذلك الشخص والتى تعلمها فى المجتمع Character

---

١ - أندريه بستانوين ، شخصيتك وحتمية التغيير ، ترجمة لويس كامل ، ص ٢٥ .

٢ - طلعت زكى مينا ، الثقافة وتنمية الشخصية المصرية ، ص ٤١ .

وبناء على هذين التعريفين يمكن تحديد مكونات الشخصية ثم كيفية التعامل فى المجتمع .

أولاً : مكونات الشخصية :

توجد عوامل متعددة تسهم فى بناء شخصية الإنسان . منها عوامل فطرية أى موروثة وعوامل أخرى مكتسبة من المجتمع الذى يعيش فيه . « فمن المعلوم أن كلاً من الوراثة والنضج وأسلوب التنشئة خلال مرحلة الطفولة والدوافع الاجتماعية التى تُكتسب عن طريق التعلم ، وكذلك الطرق المستخدمة فى عملية الإدراك ، كلها أدوار رئيسية فى توجيه السلوك وجهته المعينة »[1] . فمكونات الشخصية ليست كلها موروثة من الوالدين ، بل أيضاً مكتسبة من التنشئة ومن العادات والتقاليد فى المجتمع . ولهذا فالأمور المكتسبة يمكن تعديلها أو تغييرها وفقاً للمجتمع الذى أعيش فيه . وهنا يأتى دور الثقافة فى بناء الشخصية ، فكما أن الفرد يولد داخل مجتمع ما ، فهو يولد أيضاً داخل ثقافة خاصة تعمل على تشكيل شخصيته. فالثقافة هى الإطار الأساسى ، والوسط الذى تنمو فيه الشخصية . فهى التى تؤثر فى أفكاره ومعتقداته وطموحاته ومهاراته وخبراته ودوافعه وطرق تعبيره عن انفعالاته ورغباته . كما تحدد له القيم والمعايير التى يسترشد بها ، وتفرض عليه التقاليد التى يتمسك بها[2] .

فالشخصية تتكون نتيجة لتفاعل العوامل الوراثية مع العوامل الثقافية التى يكتسبها الفرد من المجتمع . فالثقافة هى المسئولة عن صناعة الشخصية إذ يتشكل الإنسان وفقاً للخصائص التى تتميز بها تلك الثقافة ، فليس كل ما تتميز

---

١ - د. عبد الرحمن عدس ، د . محيى الدين توق ، المدخل إلى علم النفس ، ص ٢٧٢

٢ - طلعت زكرى مينا ، مرجع سابق ، ص ٣٩ .

به الشخصية موروثاً لا يمكن تغييره . فالبعض موروث والآخر قد تعرض لعملية التطبيع الاجتماعى من خلال تأثير الناس ، مثل الوالدين والأقارب والمعلمين ... الخ . هؤلاء الذين نقلوا التراث الاجتماعى والثقافة وعلموه لنا أو فرضوه علينا . فما هو الموقف تجاه تلك المكونات ؟ هل تُقبل كما هى دون تعديل ؟ أم يمكن التفاعل معها وتغييرها ؟ .

ثانياً : كيفية التفاعل فى المجتمع :

الشخصية هى نتاج المجتمع فى جزء منها ، وبهذا لا يستطيع أحد أن يعيش لذاته بعيداً عن المجتمع ، حتى ولو كان ذلك الشخص منطوياً ، لأن المنطوى له علاقات حتى ولو كانت فى دائرة ضيقة . فقد خُلقنا فى المجتمع وتشكلنا من المجتمع . وهناك عدة مؤسسات داخل المجتمع تساعد الإنسان على التفاعل السوى ، تلك المؤسسات تساهم فى الانسجام الاجتماعى بين الناس مثل المدارس والنوادى ، والجماعة التى ينتمى إليها الإنسان .

من المفروض أن هذه المؤسسات تخلق الانتماء للمجتمع ، كما توجه نشاط الفرد الوجهة الصحيحة ، وعندما يتفاعل الإنسان مع الجماعة يستطيع أن يكوِّن شخصية سوية. ولذلك فمن الأهمية بمكان توفير الجو المناسب للأطفال فى المدارس ليتعاملوا مع بعضهم البعض فى جو صحى مناسب ، فانعزال الأطفال عن المجتمع وعن بقية أندادهم يأتى بنتائج سلبية تؤثر على شخصياتهم ، خاصة إذا صاحب ذلك الانعزال تعزيز إحساسهم بأنهم أفضل من غيرهم .

كما أن الأبناء فى سن المراهقة يحتاجون إلى جماعة ينتمون إليها ، لتحقيق ذواتهم ، ففى تلك المرحلة يبحث الشاب والشابة عن معنى للحياة ، ويتعلم كل منهما كيف يساهم فى خدمة الآخرين من خلال الجماعة . وهنا يأتى دور الكنيسة فى التنشئة السوية فى المجتمع. فالكنيسة تقوم بدور مهم جداً فى بناء الشخصية،

وذلك عن طريق التعليم حول مفهوم الانعزال عن العالم ، بدعوى أن الكنيسة جماعة مؤمنين مقدسين ، أما الذين فى العالم فهم خطاة لا يستحقون التعامل مع من هم داخل الكنيسة.

أيهما أفضل للحياة الروحية الانعزال ام الاندماج ؟

قال السيد المسيح « أنتم ملح الأرض ..... »

« أنتم نور العالم .....»

لا يستطيع الملح أن يؤثر فى الطعام إلا من خلال الزوبان فى الطعام ، وهكذا النور لا يستطيع إرشاد الناس إلا من خلال الإضاءة والظهور . ولهذا فدعوة السيد المسيح للاندماج فى المجتمع والتأثير فيه . وليس معنى الاندماج مشاركة الناس فى كل ما يفعلونه ومجاراتهم فى الأخطاء الموجودة فى المجتمع . بل الاندماج معناه الحياة مع الناس لا الانعزال عنهم والتأثير فيهم ، لتغيير سلوكهم ، وذلك التأثير متبادل ، فكل يؤثر فى الأخر .

هل من إمكانية للتغيير ؟

نشأ الإنسان فى بيئة وثقافة قد صاغت شخصيته إلى ما هو عليه الآن . ولكن يمكن عن طريق تفهم الثقافة والبيئة أن تتغير الشخصية ، وقطعاً المقصود هو التغيير للأفضل ليتحقق فى النهاية التفاعل السوى فى المجتمع.

وفى السعى نحو التغيير لابد من معرفة أن هذا التغيير ليس سهلاً . فالسلوك المألوف والمعروف أفضل من السلوك غير المألوف . فقد يمثل السلوك الجديد قلقاً يزعج صاحبه عندما يبدأ فى الإحساس بأن الجديد أفضل أو أن القديم خطأ ، فهنا يبدأ الإحساس بعدم الارتياح ، فالجديد دائماً مخيف خاصة وأن السلوك القديم عمره أطول .

الفصل الرابع

الحوار مع الآخر

الحوار هو وسيلة يستخدمها الناس لنقل المعلومة أو المعنى بين طرفين بغرض التفهم الواعى من كل طرف للآخر . فهدف الحوار هو التفاهم الكامل بين طرفين .

ولهذا ليس كل حوار يمكن أن يسمى حواراً متكاملاً ، فهناك أنواع للحوار يجب أن تستبعد إذا أرادت الجماعة أن تحافظ على علاقاتها سليمة . والمقصود بالحوار هنا اعتباره جزءاً من الحياة اليومية ومن الحياة الروحية . فالحياة الروحية لا تشمل على وقت العبادة فقط بل تمتد لتشمل كل أنشطة الإنسان.

وأنواع الحوار كثيرة ، فهناك الحوار مع النفس ، والحوار مع الآخر ، ولكل منهما أنواع متشعبة ، وهنا نركز على أنواع الحوار مع الآخر .

ا - حوار الرد على الآخر :

هذا النوع نوع سلبى فيه يستمع الفرد لكى يرد على الآخر . والرد على الآخر هو وسيلة لكى يثبت أن وجهة نظره هو فقط الصائبة ووجهة نظر الآخر خاطئة . ويميل من يتبع هذا الأسلوب أن يحقّر من تفكير الآخرين ، ويتهمهم بالجهل .

وهدف الحوار هنا ليس فهم الطرف الآخر (أفهم مشاعره وإحساساته وكلماته) بل الهدف الاستماع بغرض الرد ولغرض الدفاع .

هذا الأسلوب لا يصلح أن يكون أسلوباً بين الأزواج ، لأنه يخلو من عنصر التفاهم والذى من خلاله يفهم كل طرف الآخر . وبالتالى لا يصلح أن يكون أسلوباً بين الآباء والأبناء ، لأنه يأخذ طابع احتقار فكر الآخر ، ومحاولة إثبات خطئه .

ويذكر الدكتور حسن حنفى فى كتابه «دعوة للحوار» ص ٢٨، عن هذا

النـوع : « فـالرد على الآخر من أسـوأ أنواع الحـوار . فـمن خـلال الرد يضـيع الموضـوع ، وتزداد الانفـعـالات ، وتتـشـخص المواقف ، وتتـبـاعـد الآراء ، وتضـيق النفوس ، وتتـبادل الاتـهامـات . كل فريق يود الانتـصار وهزيمة الآخر ، فقسّمنا أنفسنا فريقين ، عدو وصديق » .

يميل عـدد ليس بقليل في مـجـتـمـعنا إلى هذا النوع من الحـوار. إننا نجـيد الألعاب التي يوجد فيها الخاسر والفائز فقط، ونود لأنفسنا الفوز وللطرف الآخر الخسارة . وهذا جعلنا ننطلق إلى الفوز في كل نواحي الحياة حتى في الكلام وفي الحوار مع الآخر . والحوار ليس معناه وجود طرفين ، طرف خاسر والآخر فائز ، بل معناه وجود طرفين يتفـهم أحدهما الآخر مهما كان الاختلاف بينهما في الفكر أو طريقة التعبير عن الحياة .

٢ - الحوار من طرف واحد :

هذا النوع هو نوع تلقيني فيه يلقّن طرف الطرف الآخر ، يعلّمه دون أن يعطى له فـرصـة للكلام أو شـرح وجـهـة نظره ، فالحـوار هـنا قـائم على سلطة دكتـاتورية تفكر وتقـرر وتملي مـا تقـرر على الطرف الآخـر دون إشـراكـه فـي الحـوار . وهذا النوع عبارة عن قائمـة أوامر من طرف أعلى لطرف أقل . فـلا يصـح أن نسـمـيـه حواراً ، لأن الحوار هو محادثة بين فردين أو أكثر « ديالوج » .

هـذا النـوع هـو « منولوج » حــوار من طرف واحـــد ، وهـذا يسئ إلى مكانة الطرف الآخر ، لأنه لا يستطيع أن يجد الوقت ليعبِّر فيه عن نفسه أو عن أفكاره .

ومتى استخدم هذا الحوار بين الوالدين والأبناء ، فسيصبح الأبناء غير قادرين على التعبير عن أنفسهم ، وعن ما في داخلهم . لأن الوالدين قد سبقوا وعاملوهم بقسوة ولم يتدربوا على الحوار بينهم وبين والديهم ، بل نشأوا على القمع والقسوة وتدربوا على الحوار من طرف واحد .

بعض الأبناء يتأثرون فى نشئتهم بهذا الأسلوب ثم يمارسونه مع أبنائهم ، وهكذا . والحوار من طرف واحد يأخذ طابع الدينونة للآخرين (مت ٧ : ١ – ٥).

٣ - الحوار المتكامل :

الحوار المتكامل ليس هو الحوار الذى من النوع الأول « الدفاع ضد الآخر » ، ولا هو من النوع الثانى « محاولة استغلال الطرف الآخر » ، بل هو ذلك الحوار الذى يكون بين طرفين يحترم كل منهما الآخر ، يحترم فكر الآخر وعقيدته وأسلوب حياته .

ويمكن تحديد معنى الحوار المتكامل فى :

١ – احترام الآخر

الحوار فن لا يجيده إلا الإنسان الواثق فى نفسه ، والذى يرغب فى تطوير حياته للأفضل . ويرى أن الحق ليس ملكه وحده فقط . فما من إنسان قد امتلك كل الحقيقة . وعندما يأخذ الحوار هذا الأسلوب فيمكن أن يكون حواراً ناجحاً مع الآخرين دون أن يجرح مشاعرهم ، ويسود الاحترام بين العلاقات فى التعامل اليومى ، وهذا ما قاله السيد المسيح عن التعامل :

« فكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا أنتم أيضاً بهم .. » (مت ٧ : ١٢) .

« كان لوثر وزونجلى مختلفين حول الحضور الإلهى فى الأفخارستيا ، وعبرا باحترام لبعضهما عن الاختلاف بطريقة مقبولة قائلين : « مع أننا لم نتفق » .

٢ – الالتزام بآداب الحوار

فى الحوار المتكامل قد أتفق مع الطرف الآخر وقد لا أتفق . المهم أن يسود أدب الحوار من طريقة الاستماع الجيد وعدم مقاطعة المتكلم حتى ينتهى من

كلامه ، وعدم رفع الصوت أثناء الحوار ، والإعلان عن رفضى وقبولى ، بأسلوب مهذب فيه أظهر احترامى للطرف الآخر .

ويمكن التعامل بهذا الأسلوب حتى بين من يختلفون فى أسلوب التعبير عن إيمانهم رغم اختلاف العقيدة والأفكار دون أن يعادى فريق فريقاً آخر . فالتنوع ليس معناه العداوة ، بل معناه اختلافنا كبشر وعندما يُقبل الاختلاف بين شخصين يبدأ الطريق الناجح نحو حوار متكامل هدفه التفاهم بين الطرفين .

٣ - *الالتزام بالموضوع*

الحوار المتكامل يناقش موضوعاً معيناً ولا يتعرض لشخصيات . فعندما تتشخَّص المواقف يخرج الحوار عن كونه حواراً إلى اتهامات شخصية ودفاعاً عن وجهة نظر ضد الأخرى .

وعندما يتحول الحوار من الموضوع إلى الشخص تبدأ الاتهامات ويبدأ العداء بين الأشخاص . والعداء والكراهية هما داء الحياة الروحية . ولقد حث السيد المسيح على الصفاء والنقاء فى العلاقات « إذا قدمت قربانك .... مت ٥ : ٢٣) .

٤ - *الحرية فى المناقشة*

يتمتع كل طرف فى الحوار المتكامل بحرية كاملة ليعبر عن رأيه فى الموضوع المطروح للمناقشة دون خوف ولا ضغط من أحد . وإن فقد أحد الأطراف حريته لا يصبح الحوار حواراً متكاملاً . فبدون حرية لا حوار على الإطلاق . ولذلك فإن تقارب الثقافة والمكانة عاملان مهمان لحرية الحوار ، فلا يمكن أن نرى حواراً بين مدير مصلحة وعامل فيها ، لأن العامل لا يستطيع أن يبدى بآرائه بحرية تامة أمام مديره فى العمل .

ويجب هنا على الطرف الأقوى أن يساعد الطرف الأقل فى التعبير عن رأيه بحرية كاملة دون أن يغضب الطرف الأول من هذه الحرية . والحرية فى المناقشة مطلوبة أيضاً بين الأزواج وبين الآباء والأبناء ،

٥ - البحث عن الحقيقة

في الحوار المتكامل لابد من البحث عن الحقيقة المنشودة عند الطرف الآخر منه هو شخصياً . فالمطلق والمسلّمات من الأمور التى تفسد الحوار، وتكون المسلمات في مرات كثيرة غير صائبة . كما أن الإيمان بها لا يمكن أن يقيم حواراً ناجحاً مع الطرف الآخر.

خاف التلاميذ من شاول بعد تغييره لأنه كان لديهم فكرة مسبقة عن حياته الأولى ، فهذه من المسلّمات التى رفضوا تغييرها إلا عندما قدم برنابا لهم الحقيقة (أع ٩ : ٢٦ و ٢٧) : « ولما جاء إلى أورشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ . وكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ . فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل وحدثهم كيف أبصر الرب فى الطريق ، وأنه كلمه وكيف جاهر فى دمشق باسم يسوع » (أع : ٩ : ٢٦ و ٢٧) .

الفصل الخامس

أنا والآخر والحرية

ليس المقصـــود فى هذا الفصل دراسـة الحرية فى المفـهوم الفلسـفى أو السياسى ، ولكن المقصود الحرية فى علاقتها بالآخر ، الحرية السلوكية . إلا أننا يجب أن نعرِّف الحرية قبل دراسة الحرية السلوكية وارتباطها بالآخر .

تعريف الفيلسوف ديكارت للحرية :

« الإرادة تقوم على استطاعتنا أن نفعل الشئ أو لا نفعله ، وأن نثبته أو أن ننفيه ، وأن نقدم عليه أو أن نحجم عنه . وبعبارة أدق ، لكى نثبت أو ننفى الأشياء التى يعرضها الذهن علينا ، ولكى نُقدم عليها أو نحجم عنها ، إنما نتصرف بمحض اختيارنا دون أن نحس ضغطاً من الخارج يملى علينا ذلك التصرف [1].

تعريف الفيلسوف ليبنتز Leibntiz ١٦٤٦ - ١٧١٦ للحرية :

« الحريـــة هى قدرة الإنسان على القيام بفعل أو عدم القيام به بمقتضى إرادته » [2] .

ولقد بدأ الرب يسوع رسالته بالمناداة بالحرية « لأنادى للمأسورين بالإطلاق وللعمى بالبصر وأرسل المنسحقين فى الحرية » (لو ٤ : ١٨ قارن غل ٥ : ١) .

---

١ – سعد عبد العزيز حياتى ، مشكلة الحرية فى الفلسفة الوجودية، ص ٢٤ .

٢ – المرجع السابق ص ٢٦ .

١ - الحرية والسلوك :

أكد الرب يسوع على حرية الإنسان ، وعندما لام اليهود التلاميذ على قطف السنابل يوم السبت واجههم يسوع بقوله : « السبت إنما جُعل لأجل الإنسان لا الإنسان لأجل السبت » (مر ٢ : ٢٧) .

وعندما قدَّم الشفاء يوم السبت أكد حرية الإنسان لفعل الخير .

والحرية السلوكية هى أن يقرر الإنسان لنفسه ماذا يفعل . ماذا يأكل أو ماذا يشرب . قال الرسول بولس : « لا يحكم عليكم أحد فى أكل أو شرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت » (كو ٢ : ١٦) . فقد يكون النافع لك ضار بى ، وقد يكون النافع لى ضار بك . فلا يمكن وضع قانون ينظم سلوك البشر ولا يمكن أن يعطى ذلك القانون الحق لأحد أن يتحكم فى الآخرين ، وعلىَّ أن أسأل نفسى ما هو النافع لى ؟ وما هو الشئ الذى أستريح له . علىّ أن أسأل نفسى ما هو الشئ النافع للناس ؟ .

فأنا غير مسئول عن التحكم فى عادات وسلوكيات الآخرين . وإذا نظر كل واحد لنفسه وما هو الواجب عليه ليعمله ما وجد لحظة واحدة لينتقد فيها سلوك الناس .

٢ - الحرية المسئولة :

تصبح الحرية غير مسئولة إذا ارتبطت بمصالح شخصية ، فالأمور الشخصية تخرج عن دائرة الموضوعية وتصبح الحرية غير مسئولة إذا تعدى الشخص على القوانين ، بداية من الأمور البسيطة كعدم احترام اللافتات التى تعلن عن شئ ما مثل :

ممنوع التدخين - ممنوع الوقوف - ممنوع التصوير - ممنوع الزيارات

– إلى محاولة كسر القوانين والتعدى على حقوق الآخرين عن طريق الرشوة مثلاً. فالحرية المسئولة حرية تخدم القانون وقيم المجتمع .

لا يوجد تعارض بين الحرية والقانون ، « الحرية تنظم القانون وتخضع له ، فليس القانون عائقاً لحرية الأشخاص ، وإنما هو تنظيم لها وضمان لبقائها ودوامها . إن مجتمعاً بلا قوانين لن يكون مجتمعاً حراً، بل سيكون مجتمعاً فوضوياً » [1]. فلا يمكن أن نسمى الفوضى حرية ، فالحرية هى اختيار واعٍ طبقاً للقوانين الموجودة .

الحرية المسئولة معناها أنى لست حراً بدون الآخر . فقد أحتاج أن أتنازل عن حقى لمصلحة الآخر . لكن قد يفهم بعض الناس أن الحرية هى فرض الأفكار ، على المجتمع وعلى الآخرين .

٣ – الحرية والمحبة :

الحرية ليست مطلقة بل محدودة بالآخر ، والمحبة تأتى لتضع قيداً على الحرية . فربط الحرية بالمحبة هو شئ فى غاية الأهمية .

الحرية الفردية تحددها المحبة للآخرين . وهذه المحبة لا تقتصر على العواطف والمشاعر، ولكنها تتضح فى اهتمامات مسيحية عاملة ونشيطة .

كانت مشكلة ما ذُبح للأوثان مشكلة كبيرة فى مرحلة تكوين الكنيسة الأولى . وكان السؤال المطروح : « هل يأكل المسيحى من اللحوم التى ذبحت للأوثان أم لا ؟ وطُرحت المشكلة ، وأخذ المجمع الذى انعقد فى أورشليم قراراً» (أع ١٥) :

---

١ – سعد عبد العزيز حياتى – مرجع سابق ، ص ٤٩ .

« أن تمتنعوا عن ما ذبح للأصنام » .

وهذا الرأى وافق الكنيسة فى آسيا الصغرى . ولكن ظهرت المشكلة فى كورنثوس مرة أخرى ، وكتب الرسول بولس رابطاً الحرية بالمحبة وقدم حل المشكلة كالتالى :

أ - منع أكل اللحم فى المعابد الوثنية (١ كو ٨ : ١٠)

ب - للمسيحى حرية أن يأكل إذا دعاه صديق وثنى (١ كو١٠ : ٢٧ ، ٢ كو ١٠ :٣٠) .

جـ - ولكن إذا وجد الشخص القوى أن حريته تعثر الضعيف ، فالمحبة المسيحية تمنعه من استخدام حريته (٢ كو ١٠ : ٣٣ ، ٢ كو ١٠ : ٢٤ و ٢٩) .

فمع أن لى حرية أن آكل ولكن بسبب محبة الآخر يمكن أن أمتنع ، فالإنسان الآخر مهم فى حياتى ، فهو أهم من حريتى نفسها .

« ويربط سارتر بين الحرية والالتزام وعند ذلك يذهب إلى أن الإنسان فى اختياره لنفسه إنما هو يختار لجميع الناس . فإذا اختار الإنسان شيئاً فإنه يعطى بهذا الاختيار لهذا الشئ قيمة مطلقة ، وكأنه يهيب بالبشرية جمعاء أن تختار هذا الشئ . فعندما نقول إن الإنسان يختار ذاته فإننا نعنى بذلك أيضاً أنه فى اختياره لذاته إنما هو يختار كل الناس .. وبذلك فأنا مسئول عن نفسى وعن كل الناس [1].

---

١ - سعد عبد العزيز حباتى ، مرجع سابق ، ص ٤٨ .

الفصل السادس

التعامل مع الآخر ككيان متكامل عاطفيا وعقلانيا

ظهرت فى الفلسفات القديمة بعض الأفكار لمحاولة تقسيم الإنسان إلى روحى وجسدى وعاطفى وعقلى . وظهر هذا الاتجاه فى المسيحية وغيرها . فأثّر على الحياة تأثيراً غير إيجابى .

إن الحياة التى تركز على الفكر والعقل فقط تكون حياة غير كاملة ، وكذلك الحياة التى تركز على العاطفة والمشاعر تكون أيضاً غير كاملة ، فالإنسان خُلق وحدة واحدة وسيبقى كذلك .

ونلاحظ طرِّيقة خلق الله للإنسان ، فالله لم يخلقه على دفعات عاطفة ثم عقلاً . فالله خلقه ، على أروع ما يكون عاطفة وعقلاً .

« وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا .. (تك ١ : ٢٦) » .

أولا : الإنسان والعقل :

ينظر الله للإنسان ككل ، كما أن الروح القدس عندما يسكن فى الإنسان يستخدمه بالكامل عاطفة وعقلاً ، فالروح القدس يمتلك الذهن ويجدده .

« ذو الرأى الممكن تحفظه سالماً سالماً لأنه عليك متوكل » (إش ٢٦ : ٣) .

فلا يمكن للإنسان أن يعيش حياة ناضجة بدون إعمال الفكر ، فالروح القدس عند ما يمتلك الذهن ويجدده ينير الحياة أكثر أمام الإنسان . ويذكر الدكتور القس جون ستوت : « إن الإيمان يمكن أن يُعرَّف على أنه التصميم على التفكير بالرغم من أن كل الظروف قد تعمل على أن تهزمنا فكرياً . إن المشكلة بالنسبة للإنسان القليل الإيمان هى أنه بدلاً من أن يضبط أفكاره .. يسمح لأمور أخرى أن تسيطر

عليها (كمسئوليات الحياة) ، فيجد نفسه يدور فى حلقة مفرغة .. لعل هذا هو أساس القلق . وهذا ليس تفكيراً بل هو غياب التفكير أو تقاعس عنه» .

ويؤكد الرسول بولس دور الذهن المستنير فى الحياة الروحية بقوله :« مستنيرة عيون أذهانكم لتعلموا ما هو رجاء دعوته وماهو غنى مجد ميراثه فى القديسين». (قارن أع ٢٦ : ١٨ ، ٢كو٤ : ٦ ، ٢ بط١ : ١٩ ، إش ٥ : ٥ ،أف ١: ١٨) .

ولقد استخدم الله فى العهد القديم الموهبة العقلية مع يوسف ودانيال لتفسير الأحلام ، وقال فرعون عن يوسف : « فقال فرعون لعبيده هل نجد مثل هذا رجلاً فيه روح الله » (تك ٤١ : ٣٨)(قارن دا ٤ : ٩). فالله يستخدم الإنسان أكثر عند ما يفكر ويخطط .

ويؤكد كاتب الأمثال الدور المهم للعقل فى حياة الإنسان :

« إذا دخلت الحكمة قلبك ولذّت المعرفة لنفسك فالعقل يحفظك والفهم ينصرك . لإنقاذك من طريق الشرير ومن الإنسان المتكلم بالأكاذيب » (أم ٢ : ١٠ و ١١) .

فلا حفظ لحياة الإنسان بغير عقل واعٍ ولا نصرة بغير فهم . فروح الله يعمل أكثر من خلال أناس تستخدم العقل والإرادة لخدمة الله .

إن قضية عدم إعمال العقل وبالتالى المعاناة من السطحية التى تواجه مجتمعاتنا اليوم انعكست على أسلوب التفكير فى داخل الكنيسة بدعوى الحياة الروحية . مع أن العكس هو الصحيح ، فالروحانية لا يمكن أن تكون بدون عقل وبدون تفكير . وهذا ما أكده الرسول بولس : « أيها الإخوة لا تكونوا أولاداً فى أذهانكم بل كونوا أولاداً فى الشر أما فى الأذهان فكونوا كاملين » . (١ كو ١٤ : ٢٠) . ويؤكد ذات الفكر كاتب العبرانيين : « وأما الإيمان فهو الثقة بما يُرجى والإيقان بأمور لا ترى » (عب ١١ : ١) . وبدون التفكير لا يستطيع الإنسان أن يصدق شيئاً ، فكلمة التصديق مرتبطة أساساً بالعقل ، فالإيمان لم يؤسس على

المحسوسات والانفعالات بل على العقل ، وعلى صدق شخص الله ومواعيده .
والإيمان عن طريق العقل يصمد أمام القلق والهموم المختلفة.

والحياة المتوازنة العقلية لا تعنى فقط التفكير السليم ولكنها تعنى أيضاً تشجيع الآخرين على التفكير السليم . ولهذا يحتاج الآباء والأمهات إلى تشجيع الأبناء على التفكير السليم وتحمل المسئولية منذ الصغر .

دور العقل فى التوبة :

إن التوبة تعتمد على العقل . لأنه إذا نبعت التوبة عن المشاعر فقط دون إقامة وزن لدور العقل ، فستكون توبة سطحية ، فإذا تعرَّض الإنسان لأى ضغط فسيرتد مرة أخرى .

ثانياً : الإنسان والعاطفة :

بلا شك أن للعاطفة دوراً مهماً فى الحياة الإنسانية ، فإعمال العقل لا يعنى أبداً فقدان الإحساس والمشاعر، فالحياة بدون ابتسامة وبدون بهجة ومشاعرلا تستحق الحياة .

ولقد قال تلميذا عمواس عندما أدركا أن الذى كان معهم هو السيد المسيح « ألم يكن قلبنا ملتهباً فينا حين كان يكلمنا فى الطريق ويوضح لنا الكتب » (لو ٢٤ : ٣٢) .

وهنا نجد أنه توجد علاقة بين كلمة « ملتهباً» (المشاعر) وبين « يوضح لنا الكتب » (التفكير) ، فالمشاعر تفيض من نبع صحيح ، عندما تعتمد على الذهن وعلى الفهم ، وهذا هو دور العاطفة المتزنة فى العبادة . ولقد ارتبط الفرح فى سفر نحميا بفهم الناس للشريعة (نح ٨:١٠-١٢) . « .... فذهب كل الشعب ليأكلوا ويشربوا ويبعثوا أنصبة ويعملوا فرحاً عظيماً لأنهم فهموا الكلام الذى علموهم

إياه » .

فالعبادة بفرح وبهجة من أحد الأمور المهمة فى سفر المزامير:

« اهتفـــى للرب يا كل الأرض . اعبــــدوا الرب بفرح . ادخلوا إلى حضرته بترنم » (مز ١٠٠ : ١ و ٢) .

ولقد اهتم السيد المسيح فى مرات كثيرة بتقبل عواطف الناس وإحساساتهم تجاهه . فلقد قدَّر دور مرثا ومريم (لو ١٠ : ٣٨ - ٤٢) .

قدَّر دور مريم التى جلست تسمع له وقال عنها : « فاختارت مريم النصيب الصالح الذى لن ينزع منها » (ع ٤٢) . وفى ذات الوقت قدَّر دور مرثا التى اهتمت بتوفير الغذاء له .

وتقبل شكر أحد العشرة البرص وسأل عن الآخرين وعن مشـــاعرهم تجاهه (لو ١٧ : ١٥ - ١٩) « فواحد منهم لما رأى أنه شفى رجع يمجد الله بصوت عظيم . وخرَّ على وجهه عند رجليه شاكراً له . وكان سامرياً . فأجـــاب يسوع وقال أليس العشرة قد طهروا . فأين التسعة .. » .

وهو نفسه اهتم بالمشاعر فقبل الأطفال وجذبهم إليه (لو ١٨ : ١٦ و ١٧) .

كما أن الحياة المتوازنة ليست أحاسيس إيجابية فقط (ابتسامة وسعادة) ولكنها أيضاً الحياة التى تسمح بالمشاعر السلبية وكيفية تقبلُها مثل الغضب والخطأ . فالبعض يفهم الحياة الروحية على أنها حياة بدون غضب وحياة بدون خطأ . لكن الغضب هو جزء من المشاعر الإنسانية ، فالمشاعر سلبية أو إيجابية هى جزء من حياتنا .

الفصل السابع

أنا والآخر والتعصب

يمثل موضوع التعصب موضوعاً مهماً فى دراسات علم النفس الاجتماعى الحديث والمعاصر . لأنه يحكم العلاقات بين جماعة وأخرى أو بين فرد وآخر.

« ويشتق مفهوم التعصب فى أصله الأوروبى - من الاسم اللاتينى « الحكم المسبق Praejudicuim . وقد مر هذا المفهوم بعدة تغيرات فى معناه إلى أن وصل إلى المعنى الحالى . وتمثلت هذه التغيرات فى ثلاث مراحل هى :

أ - المعنى القديم : ويقصد به الحكم المسبق الذى يقوم على أساس القرارات والخبرات الفعلية .

ب - وفيما بعد اكتسب المفهوم فى الإنجليزية معنى الحكم الذى يصدر عن موضوع معين قبل القيام باختبار وفحص الحقائق المتاحة عن هذا الموضوع . فهو هنا بمثابة حكم متعجل مبتسر Premature .

جـ - وأخيراً اكتسب المفهوم خاصية الانفعالية الحالية سواء بالتفضيل أو عدم التفضيل ، التى تصطحب الحكم الأول (المسبق) الذى ليس له أى سند يدعمه » (١) .

والتعصب ليس هو فقط الاتجاه السلبى فى العداوة والنفور من جماعة معينة ، بل يوجد التعصب الإيجابى ، وهو الصداقة والتعاون والحب ، ونورد هنا بعض التعريفات للتعصب كما كتبها علماء متخصصون فى هذا المجال :

---

١ - د . معتز سيد عبد الله ،**الاتجاهات التعصبية** ، ص ٤٨ .

يعرف ألبرت التعصب بأنه « التفكير السيئ عن الآخرين دون وجـــود دلائل كافية »[1] .

وتعريف ماردن وماير هو : « اتجاه يتسم بعدم التفضيل ضد جماعة معينة يحط من قدرها ، ومن قدر كل أعضائها. [2] وهذا الموضوع مهم جداً داخـل الكنيسة ، فالكنيسة ليست منظمة بعيدة عن المجتمع بل هى تحيا فيه وتؤدى رسالتها فى المجتمع . ولذلك فلابد من مناقشة هذا الموضـوع داخل مجتمع الكنيسة .

الإنسان المتعصب هو إنسان بطبعه يجارى الجماعة التى ينتمى لها بدون تفكير أو وعى . فهو يستخدم فى بعض المرات الاتجاه المضاد والسلبى تجاه الجماعة الأخرى ليوجه لها طعنات وتشويه لسمعتها بدون فحص ، هل هى على خطأ أم على حق .

والإنسان المتعصب تعصباً سلبياً من الصعب عليه تغيير رأيه أو حكمه السابق . فمثلاً إذا اتهم إنسان بأنه مجرم أو قاتل .. الخ ، وظهر بعد فترة غير ذلك لا يستطيع السلبى تغيير رأيه حتى بعد وجود دلائل لبراءة الآخر .

والإنسان المتعصب تعصباً سلبياً ينتمى لجماعته فقط ويتجنب الجماعات الأخرى التى يحكم عليها حكماً مسبقاً أنها خاطئة فى أفكارها ومبادئها.

التعصب سمة تصيب المجتمعات التى تصرّ على الانغلاق وعلى البعد عن الآخر، ومن هنا يبدأ الفرد المتعصب فى إقامة بناء خاص به يصلح أن يكون بنية

---

١ - المرجع السابق ص ٤٩

٢ - المرجع السابق ص ٤٩ .

صالحة لتعصبه . فهو أولاً يعتبر أن معتقداته الشخصية وأراءه وأسلوب معيشته هى الطريق الصحيح وكل ما عداها خطأ ولا يغْتفر ، ومن هنا يجنِّب الآخر المختلف معه فى أقل شئ .

والتعصب لا يقتصر على الدين أو الجنس ، بل قد يوجد فى العائلة الواحدة وبين الإخوة ، كما يوجد على مستوى المجتمع بل الدول .

إن التعصب صفة هدّامة – خاصة فى العصر الحاضر الذى يتميز بالتغيير السريع – والذى يقوم أساساً على قبول الآخر المختلف – وليس مبالغة القول إن من يفشل فى قبول الأخر ويتمسك بتعصبه سوف يسقط فى قاع الدنيا ، وليس معنى هذا أن ينكر الإنسان مبادءه أو دينه أو خصوصيته ، ولكن أن يعترف بالآخر أو يعترف أنه هو أيضاً له الحق فى أن يكون مختلفاً . وليس معنى هذا أيضاً أن هناك أساساً يستطيع أن يتميز بالحيادية التامة ، ولذلك فإن الموضوعية هى العلاج لحل مشكلة التعصب .

والتعصب السلبى أيضاً موجود داخل الجماعة الواحدة أو الطائفة الواحدة بل وداخل الكنيسة الواحدة .

ففى بعض الكنائس توجد مجموعة تنتمى لبعضها البعض وترفض الاختلاط والمشاركة لمجموعات أخرى ، وقد تشوه صورهم وأعمالهم .

ويوجد داخل الكنائس نوع من التعصب السلبى كانفصال الاجتماعات الفرعية كاجتماع الشباب الجامعى والعام والثانوى وغيرها عن اجتماع الكنيسة العام سواء أيام الآحاد أو درس الكتاب وسط الأسبوع .

لذلك فإن الرعاية السليمة توجه الناس إلى التعصب الإيجابى ، بمعنى أن الانتماء للجماعة لا يعنى الوقوف ضد الجماعة الأخرى لا بالكلام أو التصرف ولا بأى شكل آخر .

متى يحدث *التعصب* : ونقتبس من المرجع السابق هذه الكلمات :

« ويكشف الفحص الدقيق لما كتب فى مجالات الاتجاهات التعصبية عن وجود ثلاثة معايير مثالية مختلفة : يمكن القول إن الاتجاهات التعصبية تحدث نتيجة الانحراف عنها وهى : « معيار العقلانية Rationality ومعيار العدالة Justice ، ومعيار المشاعر الإنسانية الرقيقة Human Heartedness . وقد أكدت كل مجموعة من الباحثين على معيار بذاته من هذه المعايير الثلاثة .

ويعد « معيار العقلانية » أساساً لتعريف التعصب طبقاً لافتراض بودر ميكر H. Pauder maker وأولبورث ، يقصد بهذا المعيار أن هناك محاولات مستمرة تُبذل للحفاظ على المعلومات الدقيقة ، وتصحيح المعلومات الخاطئة التى يتلقاها الشخص ، وعمل تمييزات وتحديات لكى يكون منطقياً فى استنباطاته . وواعياً باستدلالاته . والتعصب بمعنى الانحراف عن « معيار العقلانية » يحدث فى شكل حكم متعجل Hasty Judgment أو حكم مسبق ، أو تعميم مفرط ، أو التفكير فى إطار القوالب النمطية ، ورفض تعديل الرأى فى ظل ظهور دلائل جديدة ، ورفض السماح أو الاهتمام بالفروق الفردية .

أما معيار العدالة لتعريف الاتجاهات التعصبية فهو الذى قدمه « ميردال G. Myrdel ، ووليامز R. Williams ، وميرتون R. Merton » . ويعد هذا المعيار مؤشراً للمساواة فى المعاملة Equal Treatment ، فهو يتطلب وجوب المساواة فى المعاملة بين الأشخاص جميعهم فى كل مجالات الاهتمامات العامة ، ماعدا المعاملات الفارقة التى تقوم على أساس متمايز القدرات وأشكال الإنجاز التى ترتبط وظيفياً بمتطلبات الموقف . ويسمى السلوك الذى ينحرف عن هذا المعيار « بالتمييز » . ويفرض « معيار العدالة » على الشخص أن يتجنب هذا التمييز وأن يعيه ويعارضه حينما يراه موجهاً إلى طرف ثالث .

أما المعيار الثالث الذى تُصنَّف طبقاً له تعريفات التعصب فهو أصعب فى تفسيره من المعيارين الآخرين ، وهو ما يطلق عليه اسم « المشاعر الإنسانية الرقيقة » . وهو المعيار الذى ينطوى عليه تعريف التعصب لدى هارتلى . ويتمثل هذا المعيار فى تقبل الأشخاص الآخرين بمفاهيم إنسانيتهم ، وليس على أساس أنهم يختلفون عن بعضهم البعض فى بعض الخصال . وهذا التقبل يُعد استجابة شخصية مباشرة سواء على مستوى المشاعر أو السلوك . وتشمل هذه (الاستجابة الشخصية) مجالات العلاقات الخاصة ، فضلاً عن العلاقات العامة . والتعصب بمعنى الانحراف عن معيار « العلاقات الإنسانية الرقيقة » يتراوح من « اللامبالاة » Indifference من خلال الرفض إلى العداوة النشطة, Active Hastility ويطلق على هذا الشكل من أشكال التعصب اسم « عدم التحمل »[1] .

---

١ – المرجع السابق ، ص ٥٤ و ٥٥

الفصل الثامن

التسامح مع الآخر

لا يمكن دراسة التعصب الذى يبدأ بتجنب الآخر وكراهيته ويصل فى بعض المرات إلى القتل واستخدام السلاح لإبادة الآخر دون التكلم عن التسامح . فالتعصب الدينى قاد أوروبا إلى حروب دينية وهى المسماة بحرب الثلاثين عاماً ١٦١٨ - ١٦٤٨م . بدأت حرب الثلاثين عاماً بأطماع الامبراطور فرديناند الثانى امبراطور ألمانيا ، فلقد حاول الامبراطور توحيد امبراطوريته عن طريق توحيد العقيدة بمعنى فرض عقيدة الكاثوليك على كل الدول التى تنتمى إلى البروتستانت . وقبل بداية حرب الثلاثين عاماً بعشرين عاماً كان قد اضطهد البروتستانت فى النمسا وأغلق كنائسهم ومدارسهم ، وعندما أصبح امبراطوراً أراد فعل نفس الشئ بقسوة .

بدأت الحرب كمجرد حرب أهلية فى ممتلكات أسرة النمسا ، ولكنها تحولت إلى حرب ألمانية ، ثم تحولت بعد ذلك ، شيئاً فشيئاً إلى حرب أوروبية عامة ، شارك فيها ، علاوة على الدول الألمانية والنمسا ، كل من الدانمرك ، السويد ، والأقاليم المتحدة وأسبانيا وفرنسا »[1] .

« لا حرب دينية بعد اليوم » (معاهدة وستغاليا ١٦٤٨ م) . أتت هذه المعاهدة كنقطة تحول فى التاريخ الأوروبى ، حيث أقرت تلك المعاهدة بعدم قيام حروب دينية بعد ذلك .. هذه المعاهدة أنهت حرب الثلاثين عاماً فى أوروبا .

---

١ - جلال يحيى . دكتور ، أوروبا فى العصور الحديثة حتى الحرب العالمية الأولى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص ١٢ ، عام ١٩٨١ .

أولا : لماذا التسامح :

كانت الفرق الثلاث بعد نشأة الإصلاح ضد بعضهم البعض ، الكالفينيون واللوثريون والكاثوليك . وعندما كانوا يعانون من الضعف وقلة العدد كانوا يتسامحون فيما بينهم ، ولكن عندما يتمتعون بالقوة فكان يسود الاضطهاد والتشرد .

(فى سنة ١٥٧٩ كتب جورج إيدر « George Eder » الكاثوليكى) يقول : « فى المناطق التى يسود عليها البروتستانت لا تسامح مع الكاثوليك ، إنهم يُذلون ويُطردون من بيوتهم وأراضيهم ويُرغمون على الهروب من المنفى[1] . والعكس أيضاً صحيح ، لقد أجبر الكاثوليك البروتستانت فى الكثير من المناطق على ترك طائفتهم ، فكان كلاً من الطرفين يعبر عن تعصب وعدم تسامح تجاه الآخر . والتاريخ ملئ بالقصص التى توضح عدم التسامح .

وللإجابة على السؤال ، لماذا التسامح ؟ التسامح هو رسالة السيد المسيح أيضاً . وهو رسالة الأديان أيضاً . التسامح معناه الاعتراف بالآخر وحقه فى اختيار ما يستريح له لكى يعبد الله كما يريد هو أو هى . فمن يقول أنا أمتلك الحق فقط ، فهو غير صادق لأن الله لم يعط الحق لفرد واحد أو جماعة واحدة .

قال الفيلسوف فولتير (١٦٩٤ - ١٧٨٨) :

« ليس لله شعب مختار ، ولا بلد مختار ، ولا كنيسة مختارة ، لأن العابد الحق من آمن بعقيدة واحدة هى المساواة فى العدل ، والمساواة فى التسامح بين البشر جميعاً » [2] . لقد نادى فولتير بحرية العبادة ليخفف من حدة التعصب الدينى بين

---

١ - جون لوريمر ، **تاريخ الكنيسة جزء ٤** ، ترجمة عزرا مرجان ، دار الثقافة ، ص ٣٣٩ .

٢ - عثمان نويه ، **المفكرون من سقراط إلى سارتر** ، ص ٢٥٣ .

الطوائف فى ذلك الوقت للدرجة التى فيها جعل فولتير الدين عبارة عن العدل والتسامح لكل الناس . وفى الحقيقة إن جوهر الدين هو العدل والتسامح مع الآخرين .

المرأة السامرية :

السامرة بلد قديم تأسست على يد عمرى وأخاب ملكا إسرائيل والتى بدأها عمرى بشراء جبل السامرة (١ مل ١٦ : ٢٤).

وكانت تتكون فى زمن السيد المسيح من أجناس مختلطة مع بعضها البعض . فعندما غزا الأشوريون السامرة أخذوا سكان السامرة لبلادهم وجلبوا سكاناً آخرين مكانهم (٢ مل ١٥ : ٢٩) . ومع الوقت تزوج الغرباء بسكان السامرة وكوّنوا شعباً مختلطاً ، فنظر إليهم اليهود نظرة ازدراء بسبب اختلاطهم بالأمم للدرجة التى رفض فيها زربابل مساعدتهم على بناء الهيكل . وأصبح للسامرة مع الوقت ما يشبه ديناً مستقلاً وعبادة مستقلة عن اليهودية ، فكانوايؤمنون بأسفار التوراة فقط (الخمسة أسفار الأولى) ويرفضون بقية أسفار العهد القديم ، كما أقاموا العبادة فى جبل جرزيم (تث ٢٧ : ١٢ و ١٣) وقد بنوا هيكلاً خاصاً بهم . والسؤال الآن كيف تعامل معهم يسوع ؟

عندما أراد الرب يسوع الذهاب إلى الجليل وسلك الطريق الذى كان اليهود يرفضون المرور فيه بسبب كراهيتهم للسامريين حيث كانوا يسلكون طريقاً آخر ، أوضح البشير يوحنا عن يسوع : « وكان لابد له أن يجتاز السامرة » (يو ٤ : ٤) لكنه سلك الطريق المكروه وهو العبور من السامرة حيث كان قاصداً الذهاب

للجليل وتقابل مع المرأة وكلّمها عن العبادة الحقيقية عن المسيا المنتظر . ونتيجة لشهادتها طلب شعب السامرة من يسوع أن يمكث معهم « فمكث عندهم يومين » (يو ٤ : ٤٠) ، فآمن به كثيرون . والسبب أن يسوع قبل اختلافهم عنه وعن اليهودية . كان متسامحاً مع الطائفة الأخرى وهى السامرة . فلم ينتقد كتابهم المقدس ، وعندما انتقد مكان عبادتهم فى جبل جرزيم انتقد فى نفس الوقت مكان عبادة اليهود فى أورشليم الذى كان مكان عبادته هو من وجهة نظر المرأة، وبذلك أوضح المسيح أنه ليس متعصباً ضد الآخر ، ولا يقصد مهاجمة فكره ، وإنما هو يشرح قضية العبادة الصحيحة ، ولو اقتضى الأمر أن يوجه النقد لما يفعله شعبه وليس الشعوب الأخرى فقط .

وعندما ذهب فيلبس ليبشر السامرة سمع الناس الرسالة وتكاثر عدد المؤمنين (أع ٨ : ٥) للدرجة التى أرسلت فيها الكنيسة بطرس ويوحنا للعمل هناك (أع ٨ : ١٤ – ١٧) . فلقد قبل السامريون الرسالة أسرع من اليهود واحترموا السيد أكثر من اليهود . فالتسامح الطائفى والتسامح مع الأديان الأخرى جزء مهم فى العبادة ، وعندما يُفقد فإن الحب و الغفران واتساع الأفق لا يكون لهم مكان .

لقد ارتكبت الكنيسة فى عصور كثيرة جرائم باسم الدين ، وهل الدين يسمح بارتكاب الجرائم ، هل الدين يسمح بالتعصب الذى يستند على إيمان البعض لأنهم يملكون الحقيقة دون الآخرين . إن عدم التسامح هو خيانة للحق . فمن منا يمتلك الحق المطلق ؟ يجيب الفيلسوف ريمون لوك : « من المشكوك فيه أن يكون واحد أو جماعة من الناس هى وحدها التى تملك الحقيقة الخاصة بالطريق الصحيح المؤدى إلى النجاة . والناس المخلصون الأمناء يختلفون فى أمور العقائد الدينية ، ولهذا فإن التسامح وحده هو الذى يحقق السلام بين الناس . المسيحيون والمسلمون واليهود والوثنيون كلهم يؤمنون بسلامة أديانهم ، ولهذا لابد من

التسامح الشامل ، مادام هذا الخلاف بين الناس فى الأديان والمذاهب قائماً »[1] .

التسامح علامة على نضج العقل ورقى الفكر . فكلما ارتقى عقل الإنسان كلما زاد قبوله للآخر ، والعكس صحيح كلما انغلق الفكر كلما ضاق الأفق فى قبول الآخر .

« إذا كان العقل البشرى عاجزاً عن أن يدرك الحق المطلق ، فالأجدر بنا ، باسم الإدراك السليم أن نسمح لكل إنسان بحقه فى التقرب إلى الله بطريقته الخاصة »[2] .

١– عبد الرحمن بدوى ، **موسوعة الفلسفة جزء ٢** ، ص ٣٨٠ .

٢ – عثمان نويه ، **مرجع سابق** ، مكتبة الأنجلو المصرية ص ١٩٧، عام ١٩٧٠ .

الفصل التاسع

حب الآخر من خلال حب النفس

أولاً : حب النفس :

محبة النفس شئ طبيعي في الإنسان ، وهي لا تحتاج إلى وصية . ومحبة النفس شئ سامٍ يختلف عن الأنانية ، فالأنانية هي اهتمام الإنسان بذاته فقط ، والسعي وراء تحقيق المصالح الشخصية علي حساب حقوق الآخرين .

والسؤال هنا ، كيف يحب الإنسان نفسه ؟

١ - فهم الاستعداد الشخصي :

عندما يفكر الإنسان في عطايا الله من مواهب وكفاءات يستطيع أن يحب نفسه ويقدِّرها . أحياناً كثيرة يتمنى الإنسان أن يصبح شخصاً آخر غير نفسه فيبدأ في بناء عالمه الملئ بالأمنيات والتخيلات ، وهذه الأمنيات والتخيلات معناها أن الإنسان لم يفهم نفسه ولم يقبل نفسه بعد، ولم يكتشف استعداداته الشخصية وقدراته حتى يستطيع أن يصل إلى مرحلة الرضى عن النفس ، وبالتالي عندما يثق في نفسه يقدر أن يخوض تجارب جديدة حتى ولو كانت تحمل نوعاً من التهديد أو الخطر ، وإلا فإنه سيتجنب بأى شكل من الأشكال ويسلك السلوك التقليدى المعتاد .

الإنسان الواثق في نفسه يتوقع النجاح ويخطط له في كل ما يقوم به من أعمال أكثر من توقعه الفشل . وقد تهتز الثقة بالنفس في بعض الأحيان لسبب أو لآخر ، ولكن رغم كل ذلك يظل المرء قادراً على المحافظة على بعض المزايا والصفات الإيجابية ، فيعود من جديد لثقته بنفسه . إن فهم القدرات يتم بطريقة

فعالة عندما يتم الانفتاح على الآخرين ، فهذا يتيح الفرصة لتقييم النفس فى ضوء تقييمهم للآخرين ، وهذا يساعد على فهم حقيقة القرارات .

إذا فهمت حقيقة قدراتى سأكون طموحاً بنفس المقدار، وعندما أفهم قدراتى وأقدر طموحى أحب نفسى وأرضى عنها وأقدرها . إن الخطوة الأولى فى حب النفس هو فهم الاستعداد الشخصى ، وذلك يقود إلى البحث عن المواهب والقدرات التى أعطاها الله ، فالله أعطى الكل مواهب ، وغالباً ما يبحث الإنسان عن كمية المواهب وليس فى كيفية استخدامها .

وربما كان ذلك هو الدافع الذى دفع صاحب الوزنة الواحدة من طمس وزنته بدلاً من استثمارها .

٢ - *فهم الاحتياجات :*

محبة النفس ليس معناها تجاهل الاحتياجات . فى مرات عديدة يتجاهل المرء احتياجاته بحجة أنه يهتم بالآخرين وبالمصلحة العامة ، وهذا ليس صحيحاً ، فمن يهمل احتياجه للراحة ، وللعلاقة بالآخرين ، وتجديد النشاط ، والجلسة الهادئة مع النفس ، لابد أن يدفع ثمناً مكلفاً . فإهمال الاحتياج للراحة مثلاً يتسبب فى إرهاق الجسد والمعاناة من الملل . ومن يهمل احتياجه للشركة مع الآخرين سيفقد الحب ولا يجد من يبادله المشاعر والأفكار . على أن الاحتياج لا يمكن وضعه فى قائمة ، ولكن لكل فرد احتياجاته التى يعرفها ، وبالتالى عليه أن يعمل على إشباعها حتى يستطيع أن يحب نفسه ويستريح لها إن من يحتقر قدراته سيحتقر قدرات الآخرين ..

٣ - *توقع الضعفات :*

الضعفات جزء لا ينفصل عن الحياة .. والاعتراف بالضعف يؤكد إنسانيتنا ، وحب النفس معناه الاعتراف بالضعفات ، وبذلك يتجنب الإنسان الوقوع فى

الغرور . إن الشخص المحب لنفسه يدرك ضعفه تماماً ويستطيع أن يتعامل معه . لقد حدد الفريسى فى صلاته الإيجابيات فقط ، أما العشـــار فقد حدد الضعفـــات لذلك رُحم بعكس الأول (لو ١٨ : ٩ - ١٤) .

ولقد أكد الرسول بولس وجود الضعفات ، ومع تأكيده هذا أضاف تأكيداً آخر هو وجود قوة الروح القدس ليعين ضعف الإنسان . « وكذلك الروح أيضاً يعين ضعفاتنا لأننا لسنا نعلم ما نصلى لأجله » (رو٨ : ٢٦) . ووجود الضعف معناه عدم القدرة على الإنجاز ، وهذا لا يتنافى مع الطموح بل يؤكد محدودية الإنسان . ولقد واجه الرسول بولس مشكلة مرضه . « من جهه هذا تضرعت إلى الرب ثلاث مرات أن يفارقني ، فقال تكفيـك نعمتـى لأن قوتى فى الضعف تكمل» (٢ كو ١٢ : ٩) .

ولقد اكتشف الرسول بولس بعد صراع ثلاث فترات فى الصلاة أن الضعف موجود وعليه أن يخدم الله متكلاً على نعمته التى تقويه وتشجعه . ولهذا تحولَّ الضعف إلى قوة ، تحولَّ من أمر مخجل إلى أمر يفتخر به .

« لذلك أسر بالضعفات ٢ كو ١ : ٩ - ١٠ . إن اكتشاف الضعف يمكن أن يتحول إلى قوة ويمكن أن يتحول إلى مزيد من الضعف . فاكتشاف الضعف ومحاولة إنكاره وإخفائه يحوِّله إلى قيد يمنع الإنسان من حبه لنفسه وللآخرين ، أما عدم الخجل من الضعف والتصريح به ومشاركة الآخرين فى الحديث عنه ومحاولة علاجه يحوِّله إلى قوة .

ثانيا : حب الآخر :

لقد أعطى السيد المسيح مكانة كبيرة جداً للمحبة فى تعاليمه ، فالمحبة كانت للقريب اليهودى ، أما البغضة فكانت من نصيب الغريب ، فالناس إما مبغضون أو محبوبون ولا وسط بين الاثنين . وفى مثل السامرى الصالح (لو ١٠ : ٣٧)

يقول الرب يسوع :

« اذهب أنت وافعل هكذا » اذهب ولا تفعل مثل اللاوى أو الكاهن بل اذهب واعتبر نفسك مسئولاً عن الآخر . فلقد تألم الكاهن واللاوى ولكن للأسف لا يكفى للمساعدة ، لذلك قال الرب يسوع اذهب أنت وافعل هكذا .

قدم مساعدة عملية واضحة فتقديم الحب نحو الآخر يدفعنى إلى تقديم المساعدة لمن يحتاج .

لهذا فإن المبادئ التى تنطبق على النفس هى نفسها التى تنطبق على حب الآخر.

١ - *إدراك موهبة الآخر :*

لم يُخلق الإنسان كاملاً ولا يوجد إنسان لا يحتاج للآخر، وهذا لا يدعو إلى الاختلاف بين الناس بل بالعكس هو تنوع يسمح بالاشتراك فى العمل الذى يحتاج لهذا التنوع ، وإذا نجح الأفراد فى إدراك هذا ، فإن كلاً منهم سوف يقدِّر الآخر ويحترم مشاعره وأسلوب حياته وشخصيته ، وقد رسم الرسول بولس أروع الصور فى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس الأصحاح الثانى عشر عن عمل الأعضاء معاً فى انسجام تام ، فكل عضو يحتاج للآخر .

٢ - *الاستجابه لاحتياج الآخر:*

ليس المقصود الاحتياج المادى فقط ، ولكن الاحتياج المعنوى أيضاً . يحتاج الآخر إلى كلمة تشجيع أو تقويم أو حب ، ولا يوجد الحب بدون استجابه لاحتياج معين .

قال باسيليوس أسقف قيصرية : « حين يعيش الإنسان منفرداً فإنه ينشد خلاص نفسه فقط وهذا ضد ناموس المحبة . لا أحد يصحح أخطاءه .. الله

خلقنا كأجزاء الجسم المختلفة يحتاج كل منا إلى معونة الآخر .. ومن يعيش لنفسه قد يكون لديه موهبة ثمينة ، لكنه يدفنها . وكل من يقرأ الإنجيل (مت ٢٥ : ٢٥ و ٢٦) يعرف خطورة هذا الفعل ، فالناس فى المجتمع يتشاركون معاً فى المواهب .. وكيف يكون إنســـاناً متواضعاً ، شفوقاً أو صبوراً ما لم يكن هناك إنسان آخر ؟ وكيف تكون أصغر الجميع إذا كنت وحدك ؟ [1] .

فوجود الآخر مهم جداً فى حياتى ، وأحتاج أن أستجيب لاحتياجه كما هو يريد ، وليس كما أحدد أنا له . ففى مرات كثيرة نستجيب بطرق خاطئة وهذا لا يسدد احتياج الآخر .

٣ - توقع ضعف الآخر :

كما أن للإنسان ضعفاته التى يجب أن يتعامل معها فإن الآخر أيضاً له ضعفاته التى يجب أن أتوقعها . وعندما أتوقع ضعفه أحبه ، « فالإنسان الذى يريد أن تكون محبته مسيحية ، لا يتمثل بمحبة الناس المتحفظة المحترسة ، بل بمحبة الله السخية المنطلقة . هذه هى ثورية المسيحية لأنها تطهر محبة الله الغنية السخية تجاه الناس ، وقدرة الناس باعتبارهم كائنات روحية أن يعكسوا هذه المحبة فى حياتهم ، وهنا يتصرف الإنسان كمخلوق على صورة الله ، لا كحيوان يتنافس مع غيره فى صراع الحياة وتنازع البقاء ، أو كجماعات تحكمها قواعد الجماعة وصراعاتها الاجتماعية .

إن الحب لا يفــزع من الضعف بل يتوقعه ويكون مستعداً للمسامحة والغفران .

١- جون لوريمر ، تاريخ الكنيسة الجزء ٣ ، ص ١٠١ .

٤ - مساعدة الآخر في تخطي العقبات :

لكن أسلوب مساعدة الآخر قد تكون هي نفسها عقبة تعيق الأخر إذا لم يتم تعلم أسلوب المساعدة السليم ، وإذا لم يتضح هدف المساعدة وهو نمو الآخر ولو بتقديم بعض التضحيات من جانب من يقدم المساعدة . ولعل هذا ينطبق أكثر على من يكون في موقع قيادي يسمح له بتقديم فرص المساعدة تلك . فكم من إنسان احتاج في بداية الطريق إلى آخر يساعده . فعن طريق الآخر نكتشف من نحن ، وما هي العقبات التي توجد أمامنا ، وكيف يتم تخطيها والتغلب عليها ، ولعل أوضح مثال على ذلك هو ما ورد في قصة شاول الذي سأل الرب : « ماذا تريد يارب مني أن أفعل ؟ » ، ولم يقل له الرب ماذا يفعل ، ولكنه أرسله إلى حنانيا ثم احتاج في الطريق أيضاً إلى برنابا ليقدمه للتلاميذ لكي يعرفوا أنه لم يعد بعد مضطهد الكنيسة بل مبشراً بالأخبار السارة . فالرب لم يخبره ماذا يفعل ، ولكن الذي أخبره وساعده هو حنانيا وبرنابا وآخرون . وسرعان ما بدأ في نشر الرسالة باقتدار وكفاءة ملحوظين . فقد يصبح الإنسان الذي أساعده أكفأ مني ، وهـــذا لا يجعلني أحقد عليه بل أفرح أني ساعدته على تخطي العقبات .

هذا هو الطريق لحب الآخر ، أحب نفسي وأقبلها ثم أحب الآخر بكل ما فيه وأقبله . إن حبي لنفسي يشمل فهمي لاستعدادي الشخصي وفهمي لاحتياجاتي وأتوقع ضعفاتي وأنا أمارس حياة الإيمان ثم أتخطى العقبات إذا وُجدت ، وبهذا أحب نفسي وأحب الآخر وبنفس الطريقة أدرك موهبة الآخر وأستجيب لاحتياجه. وفيما أنا أتعامل معه أتوقع ضعفه ثم أساعده على تخطي العقبات لينمو يوماً بعد يوم . هذا هو الطريق لحب الآخر من خلال حب النفس .

الفصل العاشر

الاحتياج للآخر للصداقة والتشجيع

يصل الإنسان إلى درجة كبيرة من التقدم عندما يصل إلى درجة كبيرة من مشاركة ذاته مع الآخرين . فالإنسان الناضج يستطيع أن يتكلم عن عيوبه وعن ميزاته مع الناس دون خجل ، والاحتياج للصداقة صفة من صفات الجنس البشرى .

أولا : الاحتياج لصديق :

يحتاج الإنسان أن يشعر بوجود شخص آخر بجواره كصديق ، والصديق يمكن أن يكون فرداً أو جماعة ينتمى إليها. والصديق هو الشخص الذى نشعر براحة معه وبثقة فيه وقدرة على المشاركة ، والصديق خير معين على التكيف مع الأمور غيرالمتوقعة التى تأتى بها الحياة .

١ - ***يوناثان وداود*** (١ صم ١٨ : ١ - ٥ مع ١٩ : ١ - ٧)

لا يمكن للإنسان أن يعيش من غير صديق . فلقد ظهر احتياج يوناثان لداود كصديق ، لأن يوناثان لم يجد من يصادقه داخل أسرته . وبدأت الصداقة عندما كان داود يتكلم مع شاول ، فاكتشف يوناثان داود أنه الصديق الذى كان يحتاج إليه ويبحث عنه : « وكان لما فرغ من الكلام مع شاول أن نفس يوناثان تعلقت بنفس داود وأحبه يوناثان كنفسه » (١ صم ١٨ : ١) . وهذا النوع من الصداقة مثال قوى على الصداقة الحقيقية ، فيوناثان لم يسلك مسلكاً عادياً كأى شخص ، فيعادى من تعاديه الأسرة ويحب من تحبه الأسرة . فلقد كان داود مكروهاً من شاول والد يوناثان ولكن يوناثان أحبه ورأى فيه الصديق الحقيقى

ولذلك استمرت صداقة يوناثان لداود ، حتى أيام المحنة بين شاول وداود. واستمرت الصداقة أيضاً حتى الموت ، فعندما مات يوناثان قال فيه داود أروع الكلمات التي يمكن أن تقال عن صديق وفيٍّ مثل يوناثان : « قد تضايقت عليك يا أخي يوناثان . كنت حلواً لي جداً . محبتك لي أعجب من محبة النساء » . (٢ صم ١ : ٢٦) .

٢ - *بولس وحنانيا* (أع ٩) .

احتاج بولس لحنانيا ، فبولس الرسول العظيم الذى قام برحلات تبشيرية فى آسيا وأوروبا وفى العديد من الأماكن ، احتاج فى بداية خدمته لحنانيا . فبعد مقابلة الرب يسوع لبولس احتاج لحنانيا لكي يفهم من هو ؟ وما هى رسالته ؟ وليس هذا غريباً ، فعن طريق الأصدقاء يعرف الإنسان من هو وما هى رسالته . ولقد فهم شاول من هو ؟ وما هى رسالته من حنانيا .

رد حنانيا كلاً من البصر والبصيرة لشاول ، فلقد أصيب بعمى عدم الرؤية ، وكان مصاباً من قبل بعمى البصيرة من خبراته القديمة ونظرته المتعصبة للناموس . والكثير من القادة اكتشفوا قدراتهم عن طريق انتمائهم إلى مجموعة مخلصة أو إلى صديق مخلص . فالصداقة الحقيقية تصنع الأبطال ، وتصنع المعجزات فى مواجهة أزمات الحياة ومخاطرها .

٣ - *بولس وبرنابا* (أع ١١ : ٢٣ - ٢٥ ، ١٥ : ٣٦ - ٤٠)

صادفت بولس عقبة كبرى وهى عدم تصديق التلاميذ له، وهنا احتاج إلى صديق آخر يتدخل ليشرح الموقف للتلاميذ ، وكان برنابا هو ذلك الصديق المشجع الذى يمثل من يأخذ بيد أخيه ليعبر معه الأزمات .

« ولما جاء شاول إلى أورشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ . وكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ . فأخذ برنابا وأحضره إلى الرسل وحدثهم كيف

أبصر الرب .. (أع ٩ : ٢٦ و ٢٧) . فبرنابا كان أول من اقتنع بتجديد شاول بعد حنانيا وقدمه للتلاميذ . فلقد تمتع برنابا باتساع الفكر واستطاع أن ينسى أخطاء ماضى شاول ويرى شاول الآن وفى المستقبل ، بعكس التلاميذ الذين لم يستطيعوا إلا رؤية ماضى شاول . إنه الرجل الذى تعلم أن يعطى الطرف الآخر الفرصة الثانية ، وهذا ما فعله مع شاول .

وكان لبرنابا دور المشجع فى أنطاكية ، فعندما اتسع العمل طلب شاول ليخدم معه . فبالرغم أن برنابا هو المعلم بالنسبة لبولس الرسول إلا أنه أعطاه الفرصة الأكبر فى أنطاكية . فلقد كان يعلم أن بولس الرسول أقدر منه فى الخدمة واستدعاه لأنه نظر إلى احتياج المكان ، وكان برنابا يعلم أن وصول الرسول بولس سيجذب الأنظار إليه ، ولكن برنابا الصديق والمشجع لم يهمه إلا تشجيع الناس ، رغم أن الناس نظروا إليه على أنه الأعظم والأكبر من الرسول بولس فى حادثة لسترة (أع ١٤ : ١٢) ، « فكانوا يدعون برنابا زفس وبولس هرمس إذ كان هو المتقدم فى الكلام » ، فلقد دُعى برنابا زفس وهو كبير الآلهة ودُعى بولس هرمس وهو إله الإعلان عن الآلهة أى المتكلم عن الآلهة . أهل لسترة وجدوا أن الرسول بولس هو رسول لبرنابا « الإله الأعظم من وجهة نظرهم» . ولو حسبنا المدة من بداية تجديد الرسول بولس إلى مجيئه إلى أنطاكية ثم انطلاقه مع برنابا فى الرحلة الأولى فربما كانت فى حدود ثمانى سنوات ، وهى سنوات لم نسمع فيها شيئاً عن الرسول بولس غير أنه كان يعمل فى طرسوس ، ولكن بمجيئه إلى أنطاكية بدأ يشتهر وينطلق ، وكان هذا بسبب تشجيع برنابا الصديق المشجع .

٤ - *يسوع والصداقة :*

لقد قدَّر يسوع دور الصداقة والعلاقات داخل المجموعة الصغيرة التى اختارها ليعمل معها ومن خلالها . أدرك يسوع أن الفرد لا يستطيع العمل إلا من خلال

مجموعة تشاركه طموحه وآلامه ، ومن خلال تواجد السيد المسيح من التلاميذ تظهر بعض الملاحظات المهمة .

– اهتم السيد المسيح بعمل جلسات منفردة معهم (مر ٦ : ٣٠ و٣١).

– شجعهم لكي يتكلموا عما فعلوه ، كان ليسوع عدد كبير من التلاميذ اختار منهم الاثنى عشر تلميذاً، ومن وسط هؤلاء كان له مجموعة أصغر مكونة من ثلاثة تلاميذ بطرس ويعقوب ويوحنا عندما صعد إلى الجبل أخذهم معه ، فرأوا التجلى (مر ٩ : ٢ – ١٣) ، وعندما ذهب لجثسيمانى كانوا معه (مر ١٤ : ٣٢ – ٤٢). لقد وقفوا إلى جوار يسوع .

– لقد طلب يسوع من التلاميذ كأصدقاء له أن يوضحوا له رد فعل الناس عنه.

– شاركهم يسوع آمالهم ، وناقشهم فى طموحاتهم ، واحتمل مشاعرهم السلبية ، وشجع مشاعرهم الإيجابية نحوه .

ثانيا : صدمات الأصدقاء :

يقول كاتب الأمثال : « أمينة هى جروح المحب وغاشة هى قبلات العدو» (أم ٢٧ : ٦) . توجد جروح هدفها الإصلاح . ولكن من الجانب الآخر يوجد من يضعون العقبات ويسببون صدمات لأصدقائهم . كما فعل يهوذا بالسيد المسيح : « أيضاً رجل سلامتى الذى وثقت به آكل خبزى رفع علىَّ عقبه » (مز ٤١ : ١٠). ولذلك فهناك معايير للصديق المخلص ، فهو الصديق الذى يصلح لأن أشاركه حياتى الخاصة ، وأشاركه نقصاتى فى الحياة . وهو الذى يسمع ويفهم وعنده القدرة على المساعدة وحفظ الأسرار .

الفصل الحادى عشر

أنا والآخر داخل الأسرة

مفهوم الزواج كعهد :

يأخذ القسيس في يوم عقد القران العهد على الزوجين . ولقد ورد العهد فى دستور الكنيسة كالآتى :

العهد على الزوج :

« هل تتخذ هذه المرأة التى أنت ماسك بيدها لتكون زوجة شرعية لك ؟ وهل تعد بوقار فى حضرة الله وأمام هؤلاء الشهود أن تكون لها زوجاً محباً وأميناً طالما كنتما على قيد الحياة ؟ وحالما يجاب هذا السؤال بالإيجاب يوجه القسيس إلى المرأة كلمات العهد قائلاً : « يافلانة » هل تتخذين هذا الرجل الذى أنت ماسكة الآن بيده ليكون زوجاً شرعياً لك ؟ وهل تعدين بوقار فى حضرة الله وأمام هؤلاء الشهود أن تكونى له زوجة محبة وأمينة ومطيعة طالما كنتما على قيد الحياة ؟ . متى أجاب الطرفان بالإيجاب يعلن القسيس : « أصرح بأنكما زوج وزوجة» والذى جمعه الله لا يفرقه إنسان [1] .

والسؤال المهم الآن : قبل الزواج هل درس أحد المقبلين على الزواج كلمات العهد وهل تناقشا فيه معاً ؟

إن كلمات العهد فى أغلب الزيجات لم يسمعها العروسان إلا فى عرس سابق

---

١ - دستور الكنيسة الإنجيلية بمصر ، مادة ٨٥ .

بمعنى لم يدرساها لأنفسهما . إن العهد قائم بين اثنين ، ولابد أن تكون بنوده وفقراته واضحة لكلا الطرفين .

– فهل يعى ويفهم الزوج معنى الحب والأمانة لزوجته ؟

– وهل تعى الزوجة معنى الحب والأمانة والخضوع ؟ أم يجيبا بالإيجاب ولكن الموضوع له تفاسير أخرى .

هناك مفاهيم يجب أن تكون واضحة في ذهن المقبلين على الزواج حتى يكون للعهد معنى :

١ – *الحب المتبادل :* « أيها الرجال أحبوا نساءكم ، يبدأ الحب المتبادل بين الزوجين قبل الزواج ، ويبدأ الحب ويستمر لأن الاختيار كان مبنياً على إرادتهم .

الحب مسئولية مشتركة بين الزوجين ، وليس الحب مسئولية الرجال فقط ولكنه مسئولية النساء أيضاً . فالحب من طرف واحد غير عملي وغير واقعي ، ولن يستمر إلا عندما يكون بين الطرفين ، والحب هو :

* احترام كل طرف للآخر .

* تفهُّم كل طرف لشخصية الآخر .

* تفهُّم للإيجابيات ومحاولة بنائها ، وتفهُّم للنقاط السلبية ، ومحاولة علاجها أو محاولة تقبلُّها .

* تشجيع كل طرف للآخر ، فأول من يقدم التشجيع هو شريك أو شريكة الحياة .

* تسديد احتياجات الآخر دون النظر إلى الاحتياجات الشخصية .

* تقديم العون للآخر لكى ينميان معاً .

* يظهر الحب فى المعايشة معاً ويظهر أيضاً من خلال كلمات التشجيع وطرق الاهتمام بالآخر .

« إن الأنانية تحطم كيان الأسرة ، وتفرض على الأسرة نوعاً من العزلة النفسية المخيفة المرعبة ، وتخلق صورة قاتمة للعلاقات البشرية . ومن المستحيل أن تحقق الحياة الأسرية سعادتها ما لم يتجرد كل من الزوجين عن عبادة الذات وروح الانفرادية . نحن فى حاجة إلى الخروج من هذه الوحدة النفسية والدخول فى علاقة حب مع الآخرين ومع العالم الذى نعيش فيه ويحيط بنا . نحن نحتاج إلى أن نُحب الآخر ونُحَب منه. [1] . والحب قوة مغيِّرة للطرف المحب ومغيرة لمن يستقبل الحب . يصف الدكتور زكريا إبراهيم الحب بالقول : « الحب قيمة القيم ، فإن القيم الأخرى لا تقوم بذاتها ، وأما الحب فهو القيمة التى تقوم بذاتها ، أو هى الشئ الوحيد الذى لا يترك لمن يملكه شيئاً آخر يرغب فيه» [2].

٢ - ***التكامل بين الزوجين :***

« مع أن الرجال والنساء متساوون ، فإنهم فى الوقت نفسه ليسوا متماثلين . فينبغى عدم الخلط بين المساواة والتماثل ، فنحن نختلف بعضنا عن بعض ونكمل بعضنا بعضاً من حيث الصفات النفسية والفسيولوجية المميزة لجنسياتنا . هذه الحقيقة تشكل أساس الأدوار المختلفة ولكل دوره الملائم [3] .

فخلق الله الإنسان على صورته . على صورة الله خلقه . ذكراً وأنثى خلقهم (تك١ : ٢٧) .

---

١ -د. موريس تاوضروس ،**الأسرة فى علم اللاهوت الرعوى** ، ص ٢٤ .

٢ - د. زكريا إبراهيم ، **مشكلة الحب** .. القاهرة ، ١٩٧٠ ص ٢٢٠ و ٢٢١

٣ - د . جون ستوت .. **مرجع سابق** ، ص ٢٤٧ .

خلق الله الإنسان « ذكراً وأنثى » ، ولا يكتمل وجود واحد منهم إلا بوجود الآخر ليكمله فيصبح الذكر والأنثى فى الزواج « جسد واحد » يكمل أحدهما الآخر .

« ذلك بأن الإنسان كائن مزدوج الجنس ذكر وأنثى ، لكل منهما خواصه التى تميزه ، إلا إنها تظل مفتقرة إلى خواص الجنس الآخر لتصل بالمرء إلى كمال إنسانيته . الذكر ، وإن كُمل فى صفات الذكورة ، يحتاج إلى مزايا الأنوثة ليكمل فيه الإنسان . والأنثى ، وإن كُملت أنوثتها ، تفتقر إلى صفات الذكورة لتكمل إنسانيتها . بالزواج يلتقى الرجل بالمرأة فيتكاملان ،ويزداد فيهما كمال الزواج بقدر ما يظل كل منهما على خصوصيته فيسمو إلى الوحدة التامة بين الاثنين مع مراعاة الاختلافات الخاصة بكل منهما [1] .

من منظور فكرة التكامل تتضح فكرة *« الرجل رأس المرأة »*

سفر التكوين يعلِّم فى الأصحاح الأول عن المساواة بين المرأة والرجل «الأصحاح الثانى يعلِّم عن التكامل الجنسى . إلا أن الرسول بولس يضيف إليهما كلمة **الرئاسة**» (أف ٥ : ٢٣) (الرجل رأس المرأة) ، « رأس كل رجل هو المسيح وأما رأس المرأة فهو الرجل ورأس المسيح هو الله» (١ كو١١ :٣) .

كلمة رأس kephale باليونانية تعنى مصدر أو بداية . وقد يكون المعنى أن الرجل هو أصل المرأة بمعنى أسبقية الخلق . ولكن هذا لا ينفى فكرة الرئاسة ، فما معنى الرئاسة إذاً .

يشرح ق . جون ستوت فكرة الرئاسة فيقول : « فرئاسة الزوج لزوجته هى رئاسة العناية أكثر مما هى رئاسة التحكم ، ورئاسة المسئولية أكثر مما هى

---

١ -الخورى أسقف ليون عبد الصمد ، سر الزواج ، دار المشرق ، ص ٧ .

رئاسة السلطة . وباعتباره « رأسها » **فهو يقدِّم نفسه لأجلها في المحبة** كما فعل المسيح لأجل جسده الكنيسة ، وهو يعتني بها ، كما نعتني نحن بأجسادنا . وليس همَّه أن يسحقها بل أن يحررها . وكما بذل المسيح نفسه لأجل عروسه ، لكي يحضرها لنفسه متألقة وبلا عيب ، فكذلك يبذل الرجل نفسه لأجل عروسه لكي يخلق الشروط التي تمكِّنها من النمو لتصل إلى كمال أنوثتها[1] .

فالرجال يحتاجون للنساء « ليس جيداً أن يكون آدم وحده » . والنساء يحتجن إلى الرجال ، والمقصود بكلمة « رأس » تعني الحرص على خدمة المرأة وصيانة كرامتها وليس التسلط عليها .

وبالرغم من روعة هذا المعنى إلا أنه يوجد هناك معنى آخر يظهر عندما يتضح السبب الذي جعل الرسول بولس يشـــدد على خضوع المرأة لرئاسة الرجل لها :

إن السبب ليس لاهوتياً بل اجتماعياً خاصاً بكورنثوس وأفسس ، وهذا ما يسمى في التفسير بالخلفية التاريخية ، فلقد كان في أفسس هيكل أرطاميس ، وكانت تُمارس فيه الدعارة كجزء من العبادة الوثنية . ونفس الشئ وُجد في كورنثوس معبد أفروديت إلهة الحب والجمال والخصوبة ، وكان به ألف كاهنة لممارسة الدعارة كجزء من العبادة .

ولأجل هذا السبب شدَّد الرسول بولس على دور الرجل السيادي على المرأة، ففي هذين المكانين بالغوا في العري والإباحية الجنسية . فأتى كلام الرسول بولس مشدِّداً على دور الرجل السيادي ودور المرأة في الخضوع .

وخارج هذين المكانيين علَّم الرسول بولس عن المساواة بن الجنسين .

---

١ - د . جون ستوت ، مرجع سابق ، ص ٢٥٢

٣ - *الخضوع المتبادل* : « خاضعين بعضكم لبعض فى خوف الله » :

الزواج شركة وحب ولا يكتمل وجود الرجل فيه إلا بالمرأة ، ولا يكتمل وجود المرأة فيه إلا بالرجل ، وإن كان الزواج شركة حب وتكامل فلابد أن يكون هناك خضوع متبادل ، والتركيز هنا على دور الأسرة كوحدة واحدة ، وليس كأدوار مفككة ومتباعدة ومتصارعة .

والخضوع المتبادل معناه قبول الرأى الآخر عن حب واقتناع . فأخذ القرار يتم عن طريق التشاور والمناقشات بين الزوج والزوجة والأبناء ، فكيان الأسرة يختلف عن أى كيان سياسى أو اقتصادى أو وظيفى فيه الرئيس والمرؤوس . والخضوع المتبادل ليس فقط فى تقبُّل الرأى الآخر بل أيضاً فى تسديد الاحتياج . فقد أتخلى عن احتياجاتى لتسديد احتياج الآخر . وبهذا يمكن أن تسمى الزوجة شريكة حياة والزوج شريك حياة ، كل واحد منهما يكمل الآخر .

بعض الأسر تحدد دور الزوجة ودور الزوج بناء على ما هو متبع من أيام الآباء بل والأجداد أحياناً دون الالتفات إلى متغيرات العصر . فبعد أن خرجت المرأة للعمل ، هل يمكن أن تقوم بكل الواجبات التى كانت تقوم بها وهى متفرغة للبيت ؟ أم أن هناك مرونة وإعادة توزيع للأدوار ؟ .

وبعض الأسر تصر على أن الزوج هو المسئول عن الإنفاق دون الزوجة التى لها أن تتصرف فى داخلها كما تشاء .. فهل هناك مرونة أيضاً أم أن هناك قوالب ثابتة لا تتغير، وهذا يوقع الأسرة فى احتمال استغلال أحد الأطراف لبقية أفرادها .

وهناك أيضاً أسباب أخرى توسِّع من ذلك الاحتمال ، وهى توقُّع المثالية الكاملة ، مثل انتظارات الزوج أن تخضع الزوجة بالكامل ، أو انتظار كلا الزوجين لخضوع الأبناء بالكامل . ومن الخطورة بمكان أن تعتمد تلك المثالية المطلقة على

آيات كتابية ، مما يحوّل العلاقة إلى إدانة مستمرة ومحاولة تأكيد الوجود والمطالبة بالحقوق ، وهنا تفقد الأسرة الكيان الواحد الذى يستند على العهد لأنها لم تتنبه إلى أن الأدوار تتغير تبعاً للاحتياج والزمن .

الفصل الثانى عشر

لا قداسة بدون الآخر

هناك مفردات تعودت الكنيسة أن تقصرها على مجال العبادة وفى حدود جدران الكنيسة ، ومنها عبارة التقديس . مع أن التقديس إن لم يتحول إلى حياة معاشة مختبرة وسط الجماعة فإنه لن يأخذ أبعاده الحقيقية ، فيقتصر على حدود الانفراد بالله والانفراد عن المجتمع .

إن التقديس عملية مستمرة فالإنسان يتغير كل يوم من خلال علاقته مع الله والآخرين وفى نفس الوقت فلا يمكن للإنسان أن يصل للكمال هنا على الأرض ، ويعرِّف د . ق فهيم عزيز التقديس فى كتابه ملكوت الله ص ٣١٧ . « ... والتقديس له معنى أخلاقى وهو التقدم فى طريق العمل الصالح ، والحياة النقية الطاهرة .. هى التغلب على الخطية ، وفوق ذلك هو الإكثار فى عمل البر والصلاح .. على حياة تنقى وتتطهر على الدوام ، إنه عمل إيجابى وليس سلبياً فقط». والتقديس بهذا المعنى قد تعيقه بعض المعطلات ، ولذلك فهو يحتاج لحوافز قوية تدفع الإنسان إلى الأمام فيكون التغير إيجابياً ومستمراً .

أولاً : معطلات التقديس :

١ - *الاعتياد على سلوك معين :*

السلوك القديم مُفضَّل دائماً حتى ولو كان متعباً ، ويدافع الإنسان عن سلوكياته ومعتقداته القديمة ضد السلوك الجديد، لأن السلوك القديم المعتاد والمعروف هو الأسهل رغم أنه قد يكون ضاراً .

٢ - *التركيز على جانب واحد فى حياة الإنسان :*

يركز البعض على تقديس الجسد ويهملون تقديس الفكر ، ويركز البعض الآخر على تقديس الفكر ويهملون الجسد ، فالتغيير الصحيح يشمل تغييراً وتقديساً للجسد والفكر .

فيذكر الرسول بولس تقديس الجسد : « ولا تقدموا أعضاءكم آلات إثم للخطية بل قدسوا ذواتكم لله كأحياء من الأموات وأعضاءكم آلات بر لله » (رو ٦ : ١٣ ، ١ كو ٦ : ١٥) .

ويشمل التغيير تغير الفكر والإرادة أيضاً ، وتأتى قمة التقديس فى توجيه طبائع الإنسان لخيره ولخير الآخرين والله : « إن كان أحد فى المسيح فهو خليقة جديدة ... » (٢ كو ٥ : ١٧) .

« أن تخلعوا من جهة التصرف السابق الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور وتجددوا بروح ذهنكم وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله فى البر وقداسة الحق » (أف ٢ : ٢٣ و ٢٤) .

فالتعبيران الواردان هنا هما : « خليقة جديدة » ، « الإنسان الجديد» ، ومن المهم ملاحظة أن الكتاب المقدس لم يذكر كلمة طبيعة جديدة ، فبعد الإيمان لا يصير الإنسان طبيعة جديدة ، فالإنسان من الأصل قد خلقه الله بطبيعة توافق طبيعة الله ولكن هذه الطبيعة حجبها سقوط الإنسان . وهنا نعود للظهور من جديد بعمل نعمة الله فى نفس الإنسان . لذلك فهناك خليقة جديدة . والخليقة الجديدة هى جماعة المؤمنين فى المسيح ، وتسمى أيضاً الإنسان الجديد، وعن طريق الجماعة وعمل الله ينتقل الإنسان من الخليقة القديمة إلى الخليقة الجديدة . وفى الخليقة الجديدة الله يعطى علاقة جديدة معه . وعن طريق هذه العلاقة يتقدس الإنسان جسداً وفكراً .

٣ - *التقديس الفردى :*

يركز البعض فى هذه الأيام على قداسة الفرد بمعزل عن الآخرين . وكأن الإيمان يخص الفرد لذاته فقط . وهذاالاعتقاد يقف عقبة فى وجه التقديس . فالإنسان المقدس هو الإنسان الذى يختلف عن الآخرين ، وليس المنعزل عن الآخرين . فالتغيير لا يتم بمعزل عن الآخرين واحتياجاتهم . فلا تقديس إلا من خلال نعمة الله والآخرين . فالفضائل التسع التى ذُكرت فى ثمر الروح لا توجد منها فضيلة واحدة تخص الفرد لذاته ، فكل من الفضائل التسع لها علاقة بالآخر (غل ٥ : ٢٢) .

محبة : المحبة للآخرين ومن الآخرين .

فرح : مع الآخرين وبالآخرين .

سلام : سلام مع الآخر .

طول أناة : احتمال تعديات الآخرين بصبر .

لطف : إظهار ما فى القلب من اللين والرفق بالآخر .

صلاح : الرغبة فى نفع الآخر.

إيمان : الإيمان بالله الذى تشترك فيه الجماعة معاً .

وداعة : السكون والاستقرار وهى ضد الانتقام من الآخرين .

تعفف : ضبط النفس أمام تعديات الآخرين .

فكل فضيلة تفترض وجود علاقة بالآخرين ، وهذا ما يؤكده الرسول بولس فى (٢ كو ٣ : ١٨) : « ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما فى مرآة تتغير من مجد إلى مجد » .

٤ - *التقديس الوقتي :* أحياناً يوجد خلط بين معنى التبرير ومعنى التقديس ، فالتبرير بداية التغيير وبداية توجيه الحياة من الشر إلى الخير . أما التقديس فهو الاستمرار في هذا النوع من الحياة . ويظن البعض أن بداية الإيمان أو اختبار الإيمان يكفي للتقديس ، ولكن التقديس أعمق من ذلك ، فهو استمرار للحياة ، وليس بدايتها فقط . إذاً التقديس الوقتي ليس إلا لحظات تأثر ، وإن لم يستمر الإنسان فيها فستموت هذه اللحظات . قال السيد المسيح :

« أثبتوا فيّ وأنا فيكم ... الذي يثبت فيَّ وأنا فيه هذا يأتي بثمر كثير . لأنكم بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً » (يو ١٥ : ٤ و ٥) .

فلم يطلب السيد المسيح ثمراً وقتياً بل ثمراً مستمراً . والثمر المستمر يحتاج إلى اهتمام من الإنسان باستمرار طوال العمر .

ثانياً : الدور المتكامل في التقديس :

الدور المتكامل في التغيير هو الذي يجمع بين دور الإنسان مع دور الله . فعندما يتم التركيز على دور الله ينسى الإنسان دوره ، وعلى النقيض الآخر عندما يركز على المجهود البشري في التقديس ينسى دور الله الذي يدفع للخير وحب التغيير والتقديس .

١ - *دور الله :*

يذكر الرسول بولس تشجيع الله لنا في طريق القداسة :

« لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة » (في ٢ : ١٢ و١٣) . فالله عامل مؤثر عن طريق الروح القدس الذي يريد الإنسان أن يعمل لأجل المسرة .

ويذكر الرسول بولس عن البداية الفعلية أنها من الله :

« واثقاً بهذا عينه أن الذى ابتدأ فيكم عملاً صالحاً يكمل إلى يوم يسوع المسيح » (فى ١ : ٦) . فالذى بدأ هنا العمل الصالح هو الله ، وهو سيكمل معهم إلى الوصول إلى القداسة الكاملة .

فإرادة الإنسان لا تستطيع أن تبدأ طريق القداسة والتغيير ،لأن الإيمان بعمل الله هو أساساً من الله : « بالنعمة أنتم مخلصون بالإيمان وذلك ليس منكم هو عطية الله ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد » (أف ٢ : ٨) .

فالله يعمل فى الإنسان وبه ، كما أن دور الله يظهر أيضاً من خلال عمل الروح القدس ، فالروح يسكن فى المؤمنين (رو ٨ : ٩) . وفى الروح لنا الجرأة للدخول فى محضر الآب (أف ٢ : ٩) . وفى الروح ختمنا ليوم الفداء (أف ٤ : ٣٠) .

والميلاد الثانى هو زرع إلهى : « مولودين ثانية لا مز زرع يفنى بل مما لا يفنى بكلمة الله الحية الباقية » (١ بط ١ : ٢٣ - ٢٥) .

كما يؤكد البشير يوحنا هذه الحقيقة : « الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من الله » (يو ١ : ١٣) . قارن أيضاً (يو ٣ : ٥ ، يع ١ : ١٨ ، ١ يو ٣ : ٩) .

٢ - *دور الإنسان :*

« تمموا خلاصكم بخوف ورعدة لأن الله هو العامل فيكم » . المقصود بكلمة « خلاص » هنا هو التقديس . فإن التقديس عملية مستمرة ، فهو يحتاج إلى تتميم ، ويحتاج لإتمام التغيير بكل السبل الممكنة . وأول هذه السبل إرادة التغيير . فالإنسان يعمل مع الله ليغير نفسه أو يساعده على التغيير .

ويطلب الرسول بولس : « أن نتمم القداسة بخوف ورعدة » ، والخوف هنا

ليس هو الذى يؤدى إلى الفشل ، بل خوف الحذر الذى يساعد على اليقظة والانتباه للوصول إلى كمال القداسة .

يظهر دور الإنسان فى عملية التغيير المستمر فى (٢ كو ٣ : ١٨) . « ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما فى مرآة نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح » .

« نتغير إلى تلك الصورة عينها » أى إلى صورة المسيح ، والتغير ليس فى صورة الوجه أو الجسد ، بل التغير فى الداخل ، والانتقال من حالة عدم القداسة إلى القداسة . ومقياس التغير إلى صورة المسيح « تلك الصورة عينها » أى صورة المسيح . وهى ليست فقط صورة مجد السيد المسيح المقام - ومع أن الرسول يوحنا أكد ذلك : « إذا أُظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو» (١يو٣ : ٢)

- إلا أن هناك صور أخرى للسيد المسيح يجب أن تكون موضوعاً للتغيير مثل :

- صورة المحبة الباذلة المضحية .
- صورة الخادم
- صورة الإنسان الذى يشارك الآخرين آلامهم وأفراحهم .

من مجد إلى مجد :

أى التقدم والتغيير التدريجى فى القداسة وفى المماثلة لصورة السيد المسيح .

وهذا ما يصفه كاتب الأمثال : « أما سبيل الصديقين فكنور مشرق يتزايد وينير إلى النهار الكامل » (أم ٤ : ١٨) .

ويتكلم إشعياء النبى عن تجديد القوى (إش ٤٠ : ٣٠ و ٣١) : «الغلمان يعيون ويتعبون والفتيان يتعثرون تعثراً . وأما منتظرو الرب فيجددون قوة . يرفعون أجنحة كالنسور. يركضون ولا يتعبون يمشون ولا يعيون » .

الفصل الثالث عشر

الصلاة من أجل الآخر

إن صـلاة الإنسـان من أجل الآخـر هى واجب ضـرورى . وهذا مـا ذكـره الرسول بولس لكى يرفع المؤمنون صلاة لأجل الذين هم فى موقع المسئولية (١ تى ٢ : ١ و ٢) .

« فـأطلب أول كل شئ أن تقـام طلبـات وصلوات وابتـهـالات وتشكرات لأجل جميع الناس . لأجل الملوك وجميع الذين هم فى منصب لكى نقضى حياة مطمئنة هادئة فى كل تقوى ووقار » .

والصلاة من أجل الآخر يمكن أن يُطلق عليها شفاعة . فالشفاعة لا تعنى أن هناك إنسـان يقـرِّب الآخـر إلى الله ، بل مـعناها أن هناك إنسـاناً يصلى لأجل الآخرين وهم يصلون لأجله .

والصـلاة يمكن أن تكون لا لأجل فـرد فـقط بل يمكن أن تكون لأجل الشـعب بكامله كما فعل موسى وداود وصموئيل وحزقيا (انظر ١ صم ٧ : ٥ ، ١ أخ ٢١: ١٧ ، ٢ أخ ٣٠ : ١٨) . صلى موسى لأجل شـعـبـه قـائلاً : « والآن إن غـفـرتم خطيتهم . وإلا فامحنى من كتابك الذى كتبت » (خر ٣٢ : ٣٢) .

ويرفع إبراهيم صـلاته هنا لا لأجل شـعبـه ، بل لأجل مدينة خاطئة (سدوم وعمورة) وخطاياها ارتفعت إلى فوق وسـمـع بهـا الجـمـيع . وبالرغم من كثـرة خطاياها ولكن إبراهيم يتشفع لأجلها لينقذها من الهلاك ، فهو يحاور ويناقش الله كمناقشة صديق لصديقه :

أولا : الصلاة والحوار مع الله :

صلاة إبراهيم لأجل سدوم وعمورة تظهر الصداقة العميقة التى اختبرها إبراهيم مع الله . وتعبر عن أروع وأعمق شركة بين إبراهيم والله .

فالله يستشير إبراهيم كصديق له قبل إهلاك سدوم وعمورة ، ويقول الرب عن إبراهيم : « فقال الرب هل أخفى عن إبراهيم ما أنا فاعله . وإبراهيم يكون أمة كبيرة وقوية وتتبارك به جميع أمم الأرض . لأنى عرفته لكى يوصى بنيه وبيتهُ من بعده أن يحفظوا طريق الرب ليعملوا براً وعدلاً لكى يأتى الرب لإبراهيم بما تكلم به » (تك ١٨ : ١٧ - ١٩) ، (ع ١٩) « لأنى عرفته» ، كلمة (عرفته) تعنى اختبرتهُ وتعنى صنعته لى صديقاً . فالله يعلن سره لإبراهيم .

ولذلك يقول الرب عنه فى سفر إشعياء : « وأما أنت يا إسرائيل عبدى يا يعقوب الذى اخترته نسل إبراهيم خليلى » (إش ٤١ : ٩) .

ويذكر عنه يعقوب الرسول فى رسالته : « وتم الكتاب القائل فآمن إبراهيم بالله فحسب له براً ودعى إبراهيم خليل الله » (يع ٢ : ٢٣) .

وخليل الله صديق الله ، ومن صفات الصداقة المشاركة بين الطرفين . وهذا ما ذكره السيد عن تلاميذه : « لا أعود أسميكم عبيداً لأن العبد لا يعلم ما يعمل سيده . ولكنى قد سميتكم أحباء لأنى أعلمتكم بكل ما سمعته من أبى » (يو ١٥ : ١٥) .

فيشارك الله إبراهيم بما يريد أن يفعله . فالصداقة هى مشاركة وهى أيضاً التكلم مع الصديق ، والحديث مع الصديق خير وسيلة للمشاركة الفعالة . سمع إبراهيم عن هلاك سدوم وعمورة من الرب فلم يصمت (ع٢٣) ، فتقدم إبراهيم وقال : ...... وكلمة « تقدم » تعنى الشروع فى الصلاة . فإبراهيم تكلم بقوة لأجل إنقاذ بلد خاطئ ، فهو خير من يونان الذى أراد أن يهلك نينوى وحزن عندما عفى

الله عنها :

« فقال الرب أنت شفقت على اليقطينة التى لم تتعب فيها ولا ربيتها التى بنت ليلة كانت وبنت ليلة هلكت : أفلا أشفق أنا على نينوى المدينة العظيمة » . (يون ٤ : ٩ و ١٠) . وهو أفضل من تلميذى السيد المسيح يعقوب ويوحنا اللذين أرادا أن يهلكا قرية من قرى السامرة لأنها رفضت قبول السيد، فيقول البشير لوقا عنهما : « فلما رأى ذلك تلميذاه يعقوب ويوحنا قالا يارب أتريد أن نقول أن تنزل نار من السماء فتفنيهم كما فعل إيليا أيضاً . فالتفت وانتهرهما وقال لستما تعلمان من أى روح أنتما . لأن ابن الإنسان لم يأت ليهلك أنفس الناس بل ليخلص » (لو ٩ : ٥٤ – ٥٦) . فخير لإبراهيم أن تُباد كل مدن الدائرة سدوم وعموره وغيرها حتى لا تكون عبئاً فى المستقبل ضد نسله . ولكن إبراهيم بالرغم من سماعه عن سدوم وعموره ، إلا أنه وقف ليعلن السماحة الحقيقية للخطاة .

فهو بذلك يشبه سيده الذى صلى من أجل الخطاة وهو على الصليب :

« فقال يسوع يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون » (لو٢٣ : ٣٤).

إن حوار إبراهيم نابع من مبدأ عظيم آمن به ، وهو الذى ذكره (ع ٢٣) « أفتهلك البار مع الأثيم » (ع٢٥) .... « حاشا لك أديان كل الأرض لا يضع عدلاً» . فالله يعتنى بالبار والأثيم معاً ، ولكنه لا يهلك البار مع الأثيم : « لكى تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السموات . فإنه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين » . (مت ٥ : ٤٥) . إن الصيغة التى يستخدمها إبراهيم فى سؤاله تعنى أن الله لا يفعل هذا أبداً .

فالبار له مكانة سامية عند الله ، ذكر المرنم منها الكثير لذلك نجده يقول : « عينا الرب نحو الصديقين وأذناه إلى صراخهم » (مز ٣٤ : ١٥) .

«أيضاً كنت فتى وقد شخت ولم أرصديقاً تخلى عنه ولا ذرية له تلتمس خبزاً»

(٣٧ : ٢٥) . انظر (مز ٩٢ : ١٢) ، (أم ٣ : ٣٢) ، (٤ : ١٨ ، ١٢ : ١٣)، (إش ٣ : ١٠) ، (مت ١٣ : ٤٣) .

فلقد عرف إبراهيم قبل كتابة الكتاب المقدس هذا الحق : إن الله لا يهلك البار مع الأثيم .

ولذلك وقف إبراهيم ليترجى الله إن وجد خمسين باراً لا يهلك المدينة ولم يجد الله خمسين فرجى إبراهيم أن يجد خمسة وأربعين ثم ثلاثين ثم عشرين أو عشرة فلم يجد الله ، حتى العدد القليل الذى ذكره إبراهيم .

إن معنى كلمة الرب : « فقال لا أهلك من أجل العشرة » (تك ١٨ : ٣٢) . إن الأبرار هم حمى للعالم من الهلاك .

وقف إبراهيم فى شفاعته لدى الرقم عشرة ولم يُنقص عنه شيئاً . وهذا معناه أن صورة الله قد تغيرت فى نظر إبراهيم . فرأى الله أنه عادل ورحيم فى نفس الوقت ولا يهلك البار مع الأثيم .

ولقد استجاب الرب لصلاة إبراهيم بطريقة تختلف عن ما توقع ، فلقد حاول إبراهيم إنقاذ سدوم وعمورة . ولكن الله أكد له أنه يقبل شفاعته لأجلهم ولكن المدينة تستحق الدمار ، وهنا ينصت إبراهيم للرب لكى يتعلم منه . وفعلاً تعلم إبراهيم من الله ، فى هذه الصلاة تعلم المبدأ « إن الله لا يهلك البار مع الأثيم » .

فلو لم ينصت إبراهيم للرب لكان قد خرج بمبدأ خطير أن الله يهلك البار مع الأثيم . ولكن عندما أنصت اقتنع أن سدوم وعمورة كلها أشرار حتى الأربعة أفراد الذين أُنقذوا منها لم يكونوا أبراراً بكفاية فى نظر الله وهم لوط وامرأته التى ماتت فى الطريق وابنتاه .

ويبقى سؤال : لماذا لم تنقذ صلاة إبراهيم سدوم وعمورة من الهلاك ؟

والإجابة، أنه ليس العيب في الصلاة ولا في من رفع الصلاة ولا في الله ، بل العيب كان في البلد التي رُفعت الصلاة من أجلها . فالصلاة تحوى الكلمات والشخص والله السامع الصلاة والموقف الذى تُرفع الصلاة من أجله . لهذا قبل إبراهيم الطريقة التى استجاب بها الله صلاته .

الصلاة المسئولة :

الصلاة من أجل الآخر ليست كلمات منطوقة فقط بل صلاة مسئولة أيضاً ، بمعنى أنها صلاة تبحث عن دور الإنسان فى استجابة الصلاة .

« إن الصلاة تفكير مسئول وتدريب لنا لنعمل في سبيل تحقيق ما نصلى لأجله. فكم من أناس يصلون لأجل النهضة وهم غافلون ، أو هم يسلكون سلوكاً معطلاً للنهضة ، ومن يصلون لأجل الكنيسة وهم لا يحضرونها ولا يشاركون بالخدمة [1] .

١ - الصلاة والمسئولية تعنى استخدام ما يملكه الإنسان ، ثم سؤال الله وطلب المساعدة منه ، وهذا معناه أن وراء كل صلاة فكر مسئول أيضاً يحدد ما يصلى لأجله من أجل الآخرين ، بدافع المسئولية تجاه الآخرين ليس فقط بصلاة منطوقة بل فى تسديد احتياج الآخرين . ومثال للصلاة المسئولة صلاة الرب يسوع قبل الصليب : « يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس » ، ولكنه بشعوره للمسئولية عن خلاص البشر قال : « إن لم يمكن أن تعبر عنى هذه الكأس إلا أن أشربها ، فلتكن مشيئتك » (مت ٢٦) . فيسوع كان مستعداً أن يكون جزءاً من استجابة الصلاة .

---

١ - د. ق فايز فارس ، الاقتراب إلى الله ، ص ٩٢ .

بهذا المعنى كانت صلاة إبراهيم صلاة مسئولة . فلقد صلى من أجل مشكلة حقيقية ، فهو لم يصلِّ من أجل شئ مبهم أو فى الخيال بل صلى ليلمس واقع الآخر واحتياجه .

صلى لطلب الخير لبلد شرير ، فالصلاة المسئولة لا تطلب الانتقام ، بل تطلب خير الآخرين ، ولو كان مخطئاً . ولقد تمسك إبراهيم بطلبه إلى النهاية وقام بدوره تماماً وهو يصلى لأجل سدوم وعمورة ، ويظهر دور إبراهيم أيضاً فى هذه الصلاة أنه يصلى من أجل المدينة لكى تنقذ ، فهو يعلم أن بها لوط وأسرته ومهما كانت الخلافات السابقة بينهما إلا أنه يرى أن مسئوليته هو أن يصلى لأجل إنقاذ لوط وأسرته .

الفصل الرابع عشر

تقويم الآخر

التقويم يأتى من فعل قوَّم « قوَّم الشئ تقويماً فهو قويم أى مستقيم »[1] .

والتقويم هو ذكر الحسنات وذكر السلبيات أيضاً ، وذلك يحتاج إلى تأهيل خاص وتفهم ومراعاة ظروف كثيرة . وكان لابد أن يأتى الكلام عن التقويم فى نهاية تلك الجولة عن « أنا والآخر معاً على الطريق » ، فبعد أن يُرى الآخر فى صورة الله ، وبعد تناول مفهوم الفرد والجماعة معاً ثم معرفة التأثير المتبادل والحوار المتبادل ، واحترام كيان الإنسان ككل ، وفهم معنى التعصب وأهمية التسامح ، والاحتياج للصداقة والتشجيع والكلام عن القداسة والصلاة كعاملين يعززان العلاقات مع الآخر .. هنا فقط يمكن الكلام عن التقويم والظروف التى تؤدى إلى نجاحه .

أولا : الظروف الشخصية : كالمكان والزمان وحالة الشخص .

١ - ***المكان*** : لا يصلح المكان العام الذى يتواجد فيه أناس كثيرون لجلسة يتم فيها التقويم . كما لا يصلح المنبر كمكان يمارس فيه الواعظ التقويم الذى يواجهه لشخص ما .

٢ - ***الزمان*** : اختيار الوقت المناسب ، يكون بتجنب الوقت الذى يعانى فيه الشخص من ضيق أو من احتياج بأن يفضى بما عنده تجاه شخص ما فى وقت يحتاج فيه لكلمة ثناء ومدح .

---

١ - الشيخ الإمام محمد بن أبى بكير بن عبد القادر الرازى ، **مختار الصحاح** ، ص ٥٥٧ .

٣ - ***حالة الشخص :*** إن مراعاة حالة الشخص يتوقف عليها مدى استعداده لأن يسمع أو يدافع عن وجهة نظره ، كما أن الصديق يختلف عن شخص لا يرتبط بصداقة مع من يتحدث معه .

٤ - ***الأسلوب :*** البدء بذكر الإيجابيات ثم ذكر السلبيات بطريقة مقبولة ومفهومة يستطيع أن يستوعبها السامع .

ويمكن تطبيق تلك العوامل :

- (الزمان والأسلوب والمكان وحالة الشخص) على قصة ناثان النبى عندما تحدث مع داود الملك .

الزمان : - بعد ما يقرب من سنة من وفاة أوريا الحيثى ، وكان داود قد تناسى الأمر .

المكان : كان كلاً من ناثان وداود بمفردهما معاً لكى يستطيع النبى أن يتكلم ، وأيضاً ليتقبل داود الملك الكلام .

حالة الشخص : لقد كان داود ملكاً وكان يجب أن يحكم بالعدل والإنصاف عاملاً بالشريعة .

الأسلوب : قصَّ ناثان النبى على داود القصة الواردة فى ٢ صم ١٢ : ١ - ١٥ ، وهى تمثل **الخطوة الأولى** فى التقويم .

فقد حكم داود على السارق بالقتل رغم أن هذا غير موجود فى الشريعة ، فحكم الشريعة هو رد المسروق أربعة أضعاف (خر ٢٢ : ١) « فحكم داود كان قاسياً على صاحب القصة ، دون أن يعرفه » .

الخطوة الثانية ، بعد ما حكم داود بالحكم واجهه النبى ناثان وقال : « ع ٧» فقال ناثان لداود(أنت هو الرجل) .

الخطوة الثالثة ، ذكر له النبى العقاب (ع١١) : « هكذا قال الرب هأنذا أقيم عليك الشر من بيتك وآخذ نساءك أمام عينيك وأعطيهن لقريبك فيضطجع مع نسائك فى عين هذه الشمس » .

ثانياً : الإصلاح بروح الوداعة (غل ٦ : ١) :

« أيها الإخوة إن انسبق إنسان فأخذ فى زلة ما فأصلحوا أنتم الروحانيين مثل هذا بروح الوداعة ناظراً إلى نفسك لئلا تجرب أنت أيضاً . احملوا بعضكم أثقال بعض وهكذا تمموا ناموس المسيح ».

والزلة هنا هى الخطأ المقصود ، فصاحب الزلة يحتاج إلى إصلاح ، يحتاج إلى الوقوف بجواره ، بل قد يحتاج لجرح معين ليفيق من غفلته ، فهو لم يفعل الخطأ عمداً ، بل فعله عن غير قصد، فهو يحتاج إلى إصلاح .

وهذا ما ذكره الرسول بولس لعلاج هذه الحالة فى كلمة **أصلحوا** وهذه الكلمة تعنى يصلح أو يهيئ أو إعادة الشئ على ما كان . وهذه الكلمة وردت عن إصلاح الشباك (مت ٤ : ٢١) ، (مر ١ : ١٩) . كما وردت بمعنى كامل أو يكمل (لو ٦ : ٤٠ ، ١ كو ١ : ١٠ ، اتس ٣ : ١٠ ، عب ١٣ : ٢١ ، ١ بط ٥ : ١٠).
ويذكر الدكتور وليم باركلى فى تفسيره لهذه الكلمة قوله : « وكلمة «أصلحوا» التى يستخدمها بولس الرسول تعنى إجراء إصلاح . وهى تستخدم أيضاً للتعبير عن العمل الذى يقوم به الجراح لاستئصال ورم من جسم الإنسان ، أو جبر أحد الأطراف المكسورة . ولذلك فالمعنى الذى يمكن استخلاصه من تلك العبارة ينبر على العلاج وليس على العقاب . ويصوِّر أن التصحيح يأخذ شكل الإصلاح وليس التأديب . ويتقدم بولس خطوة أخرى فيوبخ الغرور ، ويقدم طريقة يستطيع المرء بها أن يتجنبه . وذلك بعدم المقارنة بالآخرين بما يفعله كل من حولنا ، ولكن بما كان يمكن لنا أن نفعله .

لو حققنا الأهداف السامية التى رسمناها لأنفسنا ، فقد نحس بسعادة غامرة ونحن نقارن إنجازاتنا بالآخرين ، ولكننا عندما نقارنها بأسمى ما كنا نأمله لأنفسنا فعندئذ ينتفى الغرور [1] .

إن من يصلح الآخرين لابد أن يكون كما ذكره الرسول بولس : « ناظراً إلى نفسك لئلا تجرب أنت أيضاً » ، لكى يهتم كل فرد وهو يصلح الآخر يهتم بنفسه لئلا يسقط ، وهذه الكلمة هى التى قالها فى موضع آخر : « من يظن أنه قائم ..».

احملوا بعضكم أثقال بعض ..(ع٢)

« الكلمة التى يستخدمها بولس الرسول هنا هى الكلمة التى تعبر عن مهمات العسكرى . فهناك واجب لا يقوم به أحد نيابة عن الآخر ، وهناك عمل يمثل مسئولية شخصية . كما أن هناك أشياء لا يستطيع إنسان مهما كانت مشاعره رقيقة أن يقوم بها نيابة عن الآخر [2] (يو ١٥ : ١٦) ، (يو ١٣ : ٣٤) .

وهكذا فالصديق لا يجرح فقط بل يداوى أيضاً . والصديق المحب يمنح الأمل حيث يكون مفقوداً ، ويضئ النور حيث الظلام ويقدم الشفاء حيث المرض موجود.

ثالثاً : مراعاة الاختلاف :

إذا كان الآخر هو محور الكلام ، فإن الاختلاف وارد لا محالة ويجب مراعاته ، فكل شخص هو آخر يحتاج إلى نظرة خاصة به ، والرسول بولس جمع أربعة أنواع من الناس يحتاجون إلى تقييم وكل نوع يختلف عن الآخر (إش ٥ : ١٤ و ١٥) « ونطلب إليكم أيها الإخوة أنذروا الذين بلا ترتيب ، شجعوا صغار النفوس . أسندوا الضعفاء . تأنوا على الجميع » .

---

١ –د. وليم باركلى ، رسالتا غلاطية وأفسس ، ص ٨٨ .

٢ – المرجع السابق ، ص ٨٨ و٨٩ .

الذين بلا ترتيب : جماعة تحتاج لرعاية خاصة ، جماعة تسلك طريقاً معاكساً لطريق الأعضاء . والجماعة التى قصدها الرسول بولس هى الجماعة التى اعتقدت فى سرعة مجئ السيد المسيح ، ولذلك توقفوا عن أعمالهم اليومية (٢ تس ٣ : ١١ و ١٢) . فكانوا لا يشتغلون شيئاً بل يعطلون الآخرين . وكلمة (بلا ترتيب) . كلمة كانت تستخدم على الجندى الذى يترك صفوف القتال . فالإنذار ، يعيد الجندى إلى الميدان . وهذه الجماعة هنا لا تحتاج للقطع بل للإنذار والإنذار هو احتياج الجميع ليعودوا عن طريقهم لئلا يسقطوا، ونحتاج كمؤمنين أن نتقبل من بعضنا البعض الإنذار .

٢ - ***جماعة تحتاج للتشجيع:*** المجموعة الأولى ، كانت قوية إلى حد ما وتحتاج أن ترجع عن أفكارها بالإنذار . لكن هذه الجماعة ضعيفة تحتاج للتشجيع المستمر . هذا النوع من الناس يحتاج للرفق فى المعاملة . وعن طريق التشجيع يُبنى الآخر وتُبنى شخصيته .

٣ - ***جماعة تحتاج للإسناد : « أسندوا الضعفاء » :*** الشخص الضعيف معرض للضياع . ولكن إذا وجد مع جماعة تسنده فسيتقوى وينمو ، ويمكن أن يشجع آخرين أيضاً .

الشخص الضعيف يمكن أن يعثر ، لهذا أوصى الرسول بولس القوى أن يمتنع عن استخدام مطلق حريته ليسند الضعيف .

ولقد شجع برنابا الضعفاء فى أنطاكية (أع ١١ : ٢٣) (انظر أيضاً أع ١٤ : ٢١ و ٢٢ ، عب ١٣ : ٢٢) .

٤ - ***جماعة تحتاج للتأنى - « تأنوا على الجميع » :*** التأنى والاحتمال هما من أصعب الأمور التى تحتاج إلى التعلم لكى تنجح العلاقات مع الآخر . التأنى يقود الإنسان للصلاح « أم تستهين بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته غير عالم أن لطف

الله إنما يقتادك إلى التوبة » (رو ٢ : ٤) .

والثانى يحمى صاحبه من أن لا يجازى عن شر بشر .

وأخيراً ،

فإن تقويم الآخر طريق طويل يحتاج للصبر والتعلم عن كيفية تشجيع الآخر ومحاولة تغييره إلى إنسان صالح لمجتمعه ولأسرته .

معاً على الطريق

أنا والآخر

العلاقة الصحيحة بين البشر إذا كانوا أفرادا أو جماعات أو شعوبا هي مطلب ضروري في العصر الحديث، حيث لا يستطيع طرف أن يعيش بعيداً أو معاديا للآخر، فالكل محتاج بعضه لبعض.

وكما ركز الدين على الحب والعطاء والتضحية من أجل الآخرين. فإن تطور المجتمع الحديث في كل جوانب الحياة ينادي بذلك أيضا. حيث يجب أن تذوب الفوارق العرقية والطبقية والدينية.

وقد تطرق هذا الكتاب لأساليب مختلفة تساعد على تقارب الناس. ومن أهمها فن الحوار الذي يذيب الاختلافات والخلافات بين البشر. وكيف يساعد هذا حتى طرفي الحياة الزوجية في حياة [illegible].





١٠١٠٣٩٤٢

0245123